العقل الإسلامي على الطريقة الأمريكية

د. محمد مورو

دار الندى





العقل الإسلامى
على الطريقة الأمريكية

الطبعة الأولى
1422 هـ 2002 م

رقم الإيداع : 9699 / 2002
الترقيم الدولى : 4-28-5936-977

دار الندى
29 عمـارات حـدائق العبـور
صـلاح سـالم – مـدينة نصـر
تليفون وفاكس : 4035131
المـوبـيـل : 0101300093

مقدمة

العلاقة بين الإسلام والغرب ، الإسلام وأمريكا ، صراع الحضارات ، تعاون الحضارات ، الإسلام والعنف ، الاعتداءات الامريكية على عدد من الدول العربية والإسلامية ، هذه القضايا وغيرها ، قضايا هامة ومطروحة على الساحة العربية والإسلامية ، السياسية والفكرية ، الحكومية والشعبية ، وهى ليست جديدة ، بل هى القضايا الاهم منذ عشرات السنين لاسباب متعددة مرتبطة بالمصالح البترولية ومرتبطة أكثر بالدعم الغربى والامريكى المستمر - والظالم - للكيان الصهيونى ، وترتفع نبرة الاهتمام عادة مع ارتفاع ممارسات الظلم على الشعب الفلسطينى ، أو كلما استعملت الولايات المتحدة الامريكية حق النقض «الفيتو» فى مجلس الأمن الدولى أو قدمت المزيد من الدعم العسكرى والمالى والسياسى لإسرائيل ، أو كلما ناشدتها وطالبتها الدول العربية ذات العلاقة المتميزة معها باتخاذ موقف متوازن فى الصراع العربى الصهيونى وتجاهلت الأخيرة هذا الطلب .

على أنه فى غضون السنوات الاخيرة ، تصاعدت بصورة كبيرة مسألة العلاقة مع أمريكا والغرب ، بمناسبتين الأولى حرب الخليج الثانية ، وما حدث فيها وبعدها ، وحجم المعاناة والخسائر والموت الذى لاقاه الشعب العراقى منذ ١٩٩١م وحتى الآن ، الأمر الذى أحدث تأثيراً هائلاً على الوجدان العربى والإسلامى تجاه الولايات المتحدة والغرب ، والمناسبة الثانية هى سقوط الاتحاد السوفيتى السابق ، بما ترتب عليه من انفراد الولايات المتحدة بالهيمنة على العالم ، وهذا معناه ضرورة مناقشة قضية العلاقة معها ، لأنها أصبحت الاقوى وزعيمة العالم بلا منازع ، أى لا يمكن تجاهلها ولا تجاهل نفوذها ، ولا تجاهل التقاطع الحتمى مع آرائها ومصالحها خصوصاً مع تصاعد حدة الحديث عن

صراع الحضارات واعتبار الحضارة الإسلامية هى الحضارة الوحيدة القادرة على تشكيل تهديد جدى للعصر الامريكى والعولمة «هذا فى رأى الامريكيين وخصوصاً صامويل هاتنجتون» ولم يخلو الامر بالطبع من تصريحات هنا أو هناك «فى الغرب وأمريكا» تعتبر الإسلام هو العدو المرشح ، أو أن المسلمين والعرب هم مصدر الإرهاب .

وفى الحقيقة فإن ذلك كله كان يشكل جزءاً كبيراً من الصورة منذ عشر سنوات على الاقل ، وكان قبلها يشكل جزءاً لا بأس به من الصورة ، ولكن بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م أصبح هذا الأمر يشكل الصورة كلها تقريباً، ومع اتهام جماعة بن لادن «تنظيم القاعدة» وجماعات ومنظمات إسلامية أخرى ، ثم دول عربية وإسلامية بأنها ترعى الإرهاب ومن ثم إعلان أنها مستهدفة للعقاب الامريكى ، وتزامن هذا بدءاً من ٧ أكتوبر ٢٠٠١ م بعدوان واسع النطاق على افغانستان – طال بالضرورة المدنيين والمرافق – فإننا كعرب ومسلمين اصبحنا جميعاً فى فوهة المدفع ، ثم الاجتياح الإسرائيلى للضفة الغربية بدءاً من يوم ٢٩ / ٣ / ٢٠٠٢ م .

وهكذا فإن مناقشة العلاقة بين الإسلام والغرب ، الإسلام وأمريكا – موضوع قديم ، ولكنه أصبح الآن الموضوع الأهم .

وفى الحقيقة فإننى من خلال تأليف حوالى ٧٠ كتاباً سياسياً فى مختلف قضايا الواقع السياسى الإسلامى والعربى المعاصر، وآلاف المقالات فى عشرات الصحف ، قد اهتممت مبكراً بقضية العلاقة بين الإسلام والغرب ، والإسلام وأمريكا تحديداً فاصدرت ثلاثة كتب فى الموضوع مباشرة ، هى على التوالى ، الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة ١٩٩٣ م ، المواجهة بين الإسلام والغرب ١٩٩٦ م ، جرائم الأمريكان فى هذا الزمان ١٩٩٩ م ، وقد تطرقت فى تلك الكتب الثلاث ، إلى تاريخ الصراع الحضارى الممتد فى الزمان والمكان بين

الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وطبيعة التركيب القيمى للغرب وأمريكا ، وعدم صلاحية الحضارة الغربية وأمريكا لقيادة العالم ، ومظاهر العنصرية الغربية والأمريكية ضد العرب والمسلمين ، والصهيونية وإسرائيل باعتبارهما افراز طبيعى للحضارة الغربية ومؤامرة غربية على العالم العربى والإسلامى قبل أن تكون مؤامرة يهودية .. وغيرها من القضايا ذات الصلة بالموضوع ، ولا شك أن الكتابة فى هذا الصدد كانت جزءاً من اشتباكى المستمر مع القضايا الحية ومناقشتها بمنظور إسلامى معاصر ، وقد توقعت فى تلك الكتب الثلاثة وكثير من المقالات أن تحدث عمليات إرهابية خطيرة ضد أمريكا وأنه يمكن للإنسان أن يكتشف الوسائل القادرة على إنزال الألم بأى قوة مهما كانت سطوتها وإمكانياتها ، من خلال مفهوم حرب الفيل والنمل وقلت : « نعم أمريكا أقوى دولة فى العالم ، وهى تمتلك المال والسلاح والنفوذ السياسى ، ولكنها لا تستطيع أن تحمى كل مصالحها فى العالم إلا بأعباء ثقيلة، لا تستطيع إحتمالها طويلاً ، وكذلك إسرائيل التى تستمد قوتها من قوة أمريكا أما نحن فنمتلك القدرة على الضرب فى أماكن غير متوقعة ويمكننا أن نسبب لأمريكا صداعاً مستمراً وخسائر باهظة ، والأمر أشبه بالحرب بين الفيل والنمل ، فقوة الفيل وكبر حجمه هى نفسها عناصر ضعفه ، وصغر حجم النمل وكثرته واستعداده للموت هى عناصر قوته » كتاب جرائم الأمريكان فى هذا الزمان » (*) .

وقلت أيضاً : « إن مواجهة العدو بسلاح الاستشهاد مثلاً هى مواجهة ناجحة وهو سلاح لا يمكن القضاء عليه أو إلغاء مفعوله مهما كانت قوة العدو واستحكاماته ، وأذكر أنه عندما قام المجاهدون فى لبنان بتنفيذ عمليته ضد قوات مشاة البحرية الأمريكية « المارينز » فى بيروت فى ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٣ م وأدت العملية إلى قتل وإصابة مئات الأمريكيين ، وقف الرئيس الأمريكى وقتها

(*) الكتاب صادر عام ١٩٩٩ م .

رونالدريجان - أمام الكونجرس عندما سأل عن سبب حدوث ذلك ، وأين الاستخبارات والاقمار الصناعية والاستحكامات فقال : « إنه لا شيء يفيد في مواجهة تلك العمليات ، لان جميع الاستحكامات العسكرية والاستخبارات في العالم قائمة على عنصر خوف المهاجم من الموت ، فإذا كان المهاجم لا يخشى الموت ، بل يحرص عليه ويصر عليه ويريده مقدماً فإنه لا حل هناك » .

وهكذا لخص ريجان جوهر المسألة وحقيقتها !!

وقد جاءت أحداث ١١ سبتمبر لتؤكد هذا الرأى وتلك القراءة المستقبلية التى توقعتها ، وليس هذا فخراً بمقدار ما هو ثقة فى صحة المنهج الذى استخدمته فى تحليل طبيعة الصراع وشكله ومستقبله وأدواته وآلياته .

ويمكننا أن نؤكد من جديد ، أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا وأنه مهما كانت قوة الولايات المتحدة الامريكية باستخباراتها واستحكاماتها ونفوذها العسكرى والأمنى والاقتصادى والسياسى والإعلامى ، فإن مجموعة صغيرة قادرة على إنزال الالم والأذى الكبير بها .

وفى الحقيقة فإن خطورة ما حدث فى ١١ سبتمبر فى نيويورك وواشنطن من تدمير لمبنى البنتاجون - والبرجين التابعين لمركز التجارة العالمى « رمز القوة والمال » ليس فقط فى كمية الخسائر المادية الباهظة التى نتجت عن العملية ، بل فى التداعيات النفسية والسياسية المترتبة ، فمن ناحية فقد سقطت نظرية الأمن الأمريكى المطلق إلى الابد ، وأحس الامريكيون لأول مرة منذ نهاية الحرب الاهلية الأمريكية وخروج الاحتلال الإنجليزى ، أى منذ ما يزيد على قرنين من الزمان ، أنهم مهددون داخل بلادهم وأن الموت يمكن أن يصل إليهم فى أعلى مبنى وأقوى مكان عندهم .

ليس هذا فحسب ، بل إن ظهور حالات مرض الجمرة الخبيثة فى بعض الولايات جعل حالة من الذعر والرعب تسود الامريكيين لانهم أدركوا أن حرباً

جرثومية قد بدأت ضدهم ، وأن من الممكن لتنظيم القاعدة أو غيره ، ابن لادن أو غيره أن يصل إليهم بجراثيم وأوبئة وموت مؤكد داخل بلادهم وأنهم أمام عدو صعب المراس قادر على تنفيذ تهديداته ، وهكذا أصبحنا أمام قطب جديد فى السياسة الدولية وبعد أن كان الحديث عن عالم أحادى القطبية ، وانفراد أمريكى بالهيمنة فى العالم ، أصبح الحديث يدور عن تحالف دولى ضد القطب الجديد المسمى بالإرهاب .

ولا شك أن هذا القطب الجديد يمكن أن يتحول من الإرهاب إلى حركة عالمية لمناهضة الهيمنة الأمريكية ، وأن يتطور إلى تحالف شعبى ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها ، وأن يضم كل المستضعفين فى العالم ، وليس المسلمين أو الشعوب الإسلامية فقط ، أو العربية فقط ، أو جماعات ابن لادن والمتعاطفين معه فقط .. وهذا تطور خطير جديد يمكن أن يحدث تحولاً هائلاً فى السياسة الدولية .

أحداث ١١ سبتمبر ، ثم غزو أفغانستان والعدوان الصهيونى على الضفة الغربية ، وضرب المدنيين بها ، ثم الحديث عن إمكانية غزو وضرب بلاد عربية أخرى أو إسلامية بدعوى محاربة الإرهاب وتسريب الحديث والمعلومات عن إمكانية غزو وضرب كل من العراق - إيران - سوريا - لبنان - السودان - بل واتهام مصر بتشجيع ابن لادن على حد قول صحيفة الواشنطن بوست التى رأت أن كلا من الرئيس حسنى مبارك والسيد عمرو موسى أمين جامعة الدول العربية يدعمان الموقف السياسى لابن لادن . وأنهما «أى الرئيس وعمرو موسى» يقولان : إن السياسات الأمريكية غير العادلة فى العراق وإسرائيل تبرر أعمال ابن لادن ضد أمريكا .

***

التغيرات المحتملة فى العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر ثم غزو افغانستان ثم الاجتياح الإسرائيلى للضفة الغربية أكثر من أن تحصى ، ولها تأثيرات كبيرة على كل القضايا المطروحة والافكار أيضاً فلا شك أن تغيرات حادة فى معادلة الصراع العربى الصهيونى ستحدث وكذا تغيرات على مستقبل الحركة الإسلامية ، ثم شكل العلاقة بين الإسلام والغرب، وتغيرات ربما غير متوقعة ولا محسوبة على شكل علاقات الشعوب بالحكومات، والدول ببعضها البعض ، بل وعلى المستوى الداخلى الأمريكى ذاته.

والمسألة بالطبع تستحق التأمل والتفكير ، حتى ندرك السلبى من الإيجابى فيها ، فنستعد لتلافى السلبيات ، والاستفادة من الإيجابيات ورسم السياسة الصحيحة لبلادنا فى هذا العالم الذى تغير وسيتغير كثيراً منذ ١١ سبتمبر .

***

حادث الثلاثاء الرهيب

حادث الثلاثاء الرهيب ، أو يـوم القيامة الصغير ، أو تلك العملية التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ العالم وتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية .. الحادث الأكبر من نوعه ، كيف تم ؟ .. وهل يمكن اتخاذ احتياطات مستقبلية لمنع مثل هذه العمليات ؟ .. وما هو أثر ذلك الحادث الضخم جداً على شكل العالم وعلاقات وسياسات الولايات المتحدة الأمريكية المستقبلية وعلى أوضاع الصراع فى الشرق الاوسط ؟ .. وما هى دلالات الحدث ؟ .. وغيرها من الأسئلة التى طرحت نفسها بقوة على العقل السياسى والاستراتيجى فى كل مكان .

بعيداً عن الفرح المشروع ، والشماتة الطبيعية .. وعن مسائل الإدانة والشجب والتنديد التى صدرت هنا وهناك وعن الدموع الحقيقية أو دموع التماسيح التى سالت بغزارة على وجنات هذا وذاك ، فإن المسألة تستحق التأمل رغم ان هذا التأمل المطلوب شىء صعب جداً مع ضخامة الحدث وسخونة الموقف ، ودراماتيكية الأحداث والوقائع .

فى يوم الثلاثاء الحزين أو العظيم على حسب موقفك ! .. فى صباح ذلك اليوم الموافق ١١ / ٩ / ٢٠٠١ م – الصباح بتوقيت واشنطن ونيويورك وبعد الظهيرة بتوقيت الشرق الأوسط اهتز العالم بقوة .. ذلك ان عدداً من الرجال قرروا أن يموتوا ولكن بعد أن يوقعوا بالولايات المتحدة الأمريكية أكبر ضربة من نوعها ، ضربة تفوق نتائجها مادياً وبشرياً حرباً كاملة .. أو ربما عدة حروب خاضتها الولايات المتحدة هنا أو هناك .. قرر هؤلاء الرجال أن يلقنوا السيد الأمريكى المتغطرس درساً لن ينساه ، كان منطق هؤلاء الرجال – أيا كانوا – أن الولايات المتحدة الأمريكية تمارس كل أشكال البلطجة والاستكبار فى العالم ، وتتسبب فى آلام ضخمة لشعوب كثيرة .. يأتى على رأسها الشعب الفلسطينى الذى يعانى منذ عشرات السنين من حالة مستمرة من التشرد

والموت والفقر والحاجة وفقدان الوطن والأحبة على يد عصابات إسرائيل التى تؤيدها الولايات المتحدة الأمريكية وتعطيها السلاح اللازم للقتل ، والمال اللازم لتمويل تلك الثكنة العسكرية المسماة إسرائيل لتعربد كما تشاء وتنزل الموت وتشيع الخوف بالعرب من حولها وبالفلسطينيين فى قلبها ، آلام ضخمة عانتها شعوب العراق وليبيا والسودان وإيران وأفغانستان وغيرها على يد السيد الأمريكى الذى تسبب مثلاً فى وفاة ما يزيد على المليون عراقى فى الحرب والحصار والتلوث ونقص الأمصال والأدوية والغذاء والماء لمدة زادت عن عشر سنوات بلا رحمة أو شفقة .

إنها أمريكا التى يزدحم ملفها من أول يوم بالقمع والدماء والتى لم تترك مكاناً فى آسيا أو إفريقيا أو أمريكا اللاتينية إلا وارتكبت فيه عشرات المجازر والفظائع .

أمريكا التى قامت على إبادة شعب الهنود الحمر ، ونمت على سواعد الاسترقاق الأسود ، وهى التى لم تقبل حتى بالاعتذار عن الاسترقاق فى مؤتمر أخير لم يمر على وقت الحادث إلا أيام قليلة ، وصممت على ألا توصف إسرائيل بالعنصرية وإلا انسحبت معها من المؤتمر !! ..

ـ هؤلاء الرجال حين عقدوا العزم على الانتقام للبشرية ، وحجزوا التذاكر فى رحلات الطيران الداخلى الأمريكى يفكرون أيضاً فيما آل إليه العالم من فقر وفوضى بسبب الهيمنة الأمريكية وما سوف يؤول إليه من حرمان اقتصادى واجتماعى بسبب العولمة والنهب والجات وسوق المال والبورصات ومراكز التجارة العالمية ، فحددوا أهدافهم فى رموز الهيمنة الاقتصادية ، ورمز الرأسمالية الأمريكية المتوحشة ، ومركز نهب العالم وامتصاص أرزاق الفقراء فى كل مكان من العالم بالاعيب الاقتصاد الحر ، إنه مركز التجارة العالمى فى نيويورك .. ذلك الوحش – مصاص الدماء ، و المرتفع فى برجيه وعدة مبان

ملحقة تدار منها عمليات نهب العالم وقطع أرزاق العمال والفقراء ومص ثروات الشعوب ، وكذا مبنى وزارة الدفاع الامريكية « البنتاجون » الذى يمثل الذراع القوية لتحقيق الأهداف الامريكية الظالمة ، والقادرة على إنزال العقاب بمن يجرؤ على معارضة أمريكا أو يقول لها لا .. إنه رمز القوة الامريكية المتغطرسة والذى منه تدار عمليات قمع العالم والسيطرة عليه بالقوة ودعم إسرائيل .. إلخ ، وكذا مبنى وزارة الخارجية الامريكية الذى يجوب رجاله وسفراؤه العالم لنشر الخوف والفزع والحصول على التسهيلات ، والتجسس على الآخرين ، وتحديد الوسائل والطرق الكفيلة بإخضاع العالم ، ثم إحدى مقرات الرئاسة الامريكية التى تمثل رأس الذئب الجائع وذروة سنامه .. وهكذا انطلق الرجال ! ..

وركبوا الطائرات .. لم يكن معهم شيء إلا إراداتهم وربما سكاكين صغيرة حصلوا عليها من الطائرات نفسها أو حملوها معهم ، أو قاطع أوراق صغير يمكن إخفاؤه، ونجحوا فى السيطرة على طائرات واتجهوا بها بقوة لتصطدم بمبنى وزارة الدفاع وبمركز التجارة العالمى وبمنتجع رئاسى فى كامب ديفيد .. إلخ .

وكانت الحصيلة انهيار المبانى ، وقتلى وجرحى بعشرات الالوف . وأيا كان الرأى فى مشروعية القتل فإن الرسالة قد وصلت وتوجّع الذئب ، كما يتوجع ضحاياه ، وبكى الامريكيون كما يبكى الآخرون ، الفلسطينيون ، العراقيون وغيرهم .. وفرح من فرح هنا وهناك حين رأى الحزن مرتسماً على وجوه الامريكيين والرعب يسيطر عليهم لدرجة أن يختبئ الرئيس الأمريكى لمدة طويلة فى مكان غير معلوم .. نعرف فيما بعد أنه كان قاعدة تحت الأرض خوفاً من طائرة لم تكن قد وصلت بعد إلى هدفها ! .. رأى الضحايا فى كل مكان على شاشات التلفاز ، الأمريكية يفرون فى كل مكان مفزوعين مثلما يحدث للفلسطينيين يومياً .

الحادث أو الحوادث والوقائع تستحق التأمل ، ومرة أخرى بعيداً عن الشماتة أو الفرح ، أو سكب دموع الحزن ، فما حدث قد حدث ، وبداية فإن الولايات المتحدة الامريكية هى أكبر قوة فى العالم وتمتلك احدث الاسلحة والأجهزة الاستخباراتية والتجسسية من اقمار صناعية إلى أجهزة تجسس إلى حاسبات ضخمة ، وتتجسس على كل العالم وعلى كل فرد فى أمريكا وخارجها ، ولها برامج تراقب أجهزة الهاتف العادى والمحمول ، والمحادثات السلكية واللاسلكية ، وعندها جهاز مخابرات جبار ، يعمل به عشرات الالوف ويجند جواسيس فى كل مكان ويخترق كل شىء وكل منظمة تقريباً علنية أو سرية ، موالية أو معادية ، وميزانيات ضخمة لتمويل كل ذلك، وهناك استحكامات ووسائل رقابة فى الموانئ والمطارات والشوارع .. إلخ .. ومع هذا ورغم كل هذا نجح عدد من الرجال فى تجاوز هذا كله ونفذوا ما ارادوا ، وهذا يعنى أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا ، وأن الإرادة الإنسانية فوق كل شىء ، وقادرة على تجاوز أعتى الاستحكامات والاستعدادات ، ولعل هذه الخبرة الإنسانية تفتح باب الأمل أمام إمكانية الثورة على الظلم مهما كان قوياً ، وتحدى الاستكبار مهما كان محصناً ، وهى خبرة عرفتها البشرية قديماً وحديثاً وتأكدت من خلال العمليات الاستشهادية التى تم تنفيذها فى فلسطين المحتلة، وقبلها فى لبنان ضد مقر قيادة القوات الأمريكية «المارينز» والفرنسية ١٩٨٣ ، ثم مقر الحاكم العسكرى الإسرائيلى فى صور فيما بعد والعمليات ضد سفارتى الولايات المتحدة الامريكية فى نيروبى ودار السلام .

ولكن الجديد فى تلك الخبرة أن ما حدث سابقاً كان يتم فى دول إفريقية أو فى لبنان أو فلسطين المحتلة ، وربما يزعم البعض أن ذلك يرجع إلى ضعف الأجهزة الأمنية فى تلك الاماكن ، وأن ذلك مستحيل فى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، ولكن الحقيقة أن الاستحكامات الأمنية فى إسرائيل قوية ، وكذا فإن تنفيذ العمليات فى إسرائيل والولايات المتحدة يعنى أن من الممكن

النجاح بالإرادة وحدها فى قلب امريكا ذاتها وفى احشائها « نيويورك وواشنطن » وأن من الممكن إنزال قدر هائل من الألم والوجع والخسائر بالمتغطرسين مهما كانت أدوات المهاجم بسيطة أو حتى بلا أدوات ، فالعمليات الأخيرة أثبتت ذلك .. فالمهاجمون مجموعة من الناس قرروا الانتقام ، ولم يكن معهم سوى ثمن تذاكر الطائرات ، ورجال مدربون على قيادة الطائرات ، أما السيطرة على الطائرات فعن طريق أدوات من الطائرة نفسها أو تهريب أشياء صغيرة مثل قاطع الورق أو سكين صغير ، وربما بلا شيء عن طريق العضلات والإرادة القوية ، وهكذا فإن تحدى الاستكبار لا يرتبط بالإمكانيات بل بالإرادة، وكذلك فإن تصميم المدن والتجارة والعلاقات والمبانى وبسبب طبيعة الحياة التى لا يمكن تغييرها فإن تنفيذ تلك العمليات سهل لانه من الناحية العملية لا يمكن تحويل كل مطار إلى ثكنة عسكرية ، ولا يمكن تحويل كل مبنى إلى قلعة وإلا فقدت الحياة معناها وفقدت التجارة مكاسبها، ولا يمكن بداهة حراسة كل شخص وكل مبنى وكل موقع وإلا توقفت الحياة عملياً .

على كل حال فإن الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان كان قد اعترف بذلك حينما سأله أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكى عن التقصير فى حماية قوات مشاة البحرية فى بيروت الذين تمت ضدهم عملية عام ١٩٨٣ على يد المقاومة اللبنانية عن طريق عملية استشهادية فقال الرئيس الأمريكى : « إن جميع الاستحكامات المعروفة فى الدنيا قائمة على خوف المهاجم من الموت فإذا قرر المهاجم أن يموت فإنه لا حل هناك » .

العملية التى تمت سواء كانت تعود إلى تنظيم معين أو تستند إلى جماعة أو مجرد عمل مجموعة لا علاقة لها بأحد فإن الإمكانيات تظل ضعيفة والنجاح يرجع إلى الإرادة ، ولعل الأثر المترتب على العملية لا يقتصر فقط على الخسائر

المادية والبشرية وهى خسائر باهظة ، بل فى إثارة حالة من الفزع والخوف وهو أمر له ما بعده ، وكذا الارتباك وإعادة تنظيم الاوضاع داخل الأجهزة الأمريكية وهو أمر مكلف طبعاً ، وكذلك فى حالة الشلل التى أصابت حركة الطيران التجارى فى أمريكا ، وإغلاق البورصات ، وإخلاء المبانى الحكومية وغيرها من الامور التى تتسبب فى خسائر إضافية .

وهكذا فإن الألم شديد وإيقاع الوجع بأمريكا – الوجع الشديد – ممكن جداً : ﴿ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾ [1] .

وعلينا أن نتأمل أيضاً ماذا يمكن أن يحدث لأمريكا أو لإسرائيل أو لأى مستكبر .. فلو كانت العملية ترجع إلى تنظيم كتنظيم ابن لادن مثلاً فإن معنى ذلك أن بإمكان مثل هذا التنظيم وعن طريق المال والرشوة مثلاً للعلماء السوفيت فى روسيا أو أذربيجان أو غيرهما من دول الاتحاد السوفيتى السابق بإمكان هؤلاء الحصول على سلاح ذرى أو بيولوجى واستخدامه ، ولك أن تتصور الباقى ...

إنه الرعب الكامل ، ولوكانت تلك المجموعة لا تنتمى إلى تنظيم معين بمعنى أن الممارسات الأمريكية استفزت أى مجموعة من الناس ، ولو فرداً واحداً فقرر أن يخطف طائرة أو باص أو شاحنة وينفذ بها عملية فإن من المستحيل وقف ذلك ، لانه لا يمكن مراقبة كل الناس كل الوقت ، ولنا أن نتصور المسلمين مثلاً كأمة ، حوالى ١٥٠٠ مليون نسمة ينتشرون فى كل الدول والقارات والمدن والقرى والبحار واليابسة ، أى لا يمكن القضاء عليهم ولا باستخدام القنابل الذرية ، وبالتالى فإنه لا طريق هناك سوى التوقف عن الظلم !! .. ولعل هذه النتيجة هى المعنى الأهم والأثر الأهم من عمليات يوم الثلاثاء ١١ / ٩ / ٢٠٠١ م .

---

(١) سورة النساء : الآية (١٠٤) .

ماذا سيكون شكل العالم بعد الحادث الرهيب ؟ ، وهل يصلح حادث مثل هذا لإعادة تشكيل العالم ؟ .. والإجابة أن هذا الحادث سيكون له آثاره البعيدة جداً .. نظراً لضخامته من ناحية ، والخسائر التى لا تحتملها أمريكا من ناحية أخرى وبالتالى سوف يؤثر على توجهاتها ، وكذا سهولة تنفيذ مثل تلك العمليات واعتمادها فقط على الإرادة والشجاعة والإيمان والمغامرة فقط ثم تفكير باقى دول العالم وخاصة فرنسا وأوروبا فى إمكانية حدوث ذلك معها ، وإذا ناقشنا أولاً ردود الأفعال العربية - الحكومية والشعبية - وكذا بعض الجماعات والقوى نجد أن بعض الرؤساء والجماعات شجبوا ونددوا بمثل هذا الحادث ، وهذا شيء متوقع لأنه لا يمكن لأحد أن يتبنى الدفاع عن مثل هذا الأمر لأسباب معروفة ، والبعض الآخر شجب وندد ولكنه لفت النظر إلى جرائم أمريكا وممارساتها وضرورة تغيير سياساتها وهؤلاء أشجع من النمط الأول ولكن الوجدان الشعبى العادى الذى يلمسه أى مراقب فى الشوارع المصرية أو العربية كان فرحاً وشامتاً، ويعبر عن إحساس بالفرح لإصابة الأمريكيين بشيء مما أصابونا به ، بل عبر كثيرون من الطبقات الشعبية على المقاهى والمحلات بأن ابن لادن يحظى بحبهم واحترامهم وذهب البعض إلى ضرورة أن تساعده الدول العربية برغم أن التهمة لم توجه رسمياً له حتى ساعة صدور تلك التعليقات .
بعض المثقفين والمعلقين المتغربين ودعاة التطبيع اعتبروا أن ما حدث يمثل كارثة للعرب والمسلمين لأنه سوف يترتب عليه أن تستفيد إسرائيل من حالة الغيظ الأمريكى وتزداد فى تشددها ، وهذا بالطبع مردود عليه بأنه لا إسرائيل ولا أمريكا تحتاج لحادث لكى تفعل بنا ما تفعل فهما فعلتاه قبل الحادث وسوف تفعلانه بعده لأن ذلك إستراتيجية أمريكية وإسرائيلية ثابتة .. وكذلك يروج هؤلاء أن تشدداً متوقعاً مع المهاجرين العرب والمسلمين سواء المقيمين منهم فى أوروبا وأمريكا أو الراغبين فى السفر ، وأن معاملة المسلمين فى أمريكا والغرب عموماً سوف تزداد سوءاً .

وقد يكون هذا صحيحاً جزئياً أو مؤقتاً ، ولكنه أيضاً سياسة ثابتة تتم وستتم بحادثة أو بدونها ، بل إن تلك الحادثة ربما تجعل الامريكيين يفكرون مرتين قبل اضطهاد أى عربى أو مسلم لان هؤلاء لا يفهمون إلا لغة القوة ، وهذا هو الاثر المتوقع على المدى الطويل .. بل إن إحساس امريكا والغرب وإسرائيل بأن العرب والمسلمين قد عرفوا طريق الاستشهاد والانتقام وأن خبرتهم بذلك أصبحت معروفة ومتاحة سوف يؤدى بالضرورة إلى التوقف جزئياً أو كلياً عن اضطهاد العرب والمسلمين وتغيير السياسات العالمية تجاه القضية الفلسطينية وقضايا العرب والمسلمين عموماً ، وهو أمر إيجابى بالطبع على عكس ما يروج بعض دعاة التغريب والتطبيع .. إن العالم سيتغير إلى الأفضل بفضل رجال قرروا أن يموتوا !! رغم أسفنا طبعاً على الضحايا !!

وصـــدق الله العظيم : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[1] .

***

---

(١) سورة النساء : الآية (٧٨) .

الأهداف غير المعلنة لغزو أفغانستان



بدلاً من التفكير الهادئ فى الأسباب ، ثم تحديد الجناة ، انطلقت الآلة الإعلامية الأمريكية فى اتجاه حشد معين ، وأصبح الحديث عن حروب صليبية جديدة ، وعن إمبراطورية الشر (العرب والمسلمين) وعن ضرورة ضرب الإرهاب ومن يحميه ثم دعوة العالم للمشاركة والتأييد ومن لا يساعد أمريكا يصبح عدوها ، فليس هناك خيار ثالث ..

التأمل الهادئ فى أسلوب الحشد الإعلامى والسياسى والعسكرى الامريكى للحملة المزعومة على الإرهاب ، يعطى الانطباع بان هناك أسباباً أخرى – غير الإرهاب – أو أسباباً أخرى غير معلنة للحملة الامريكية عموماً والحملة الأمريكية على أفغانستان خصوصاً .

وبداية فإن عدداً من الحقائق باتت لا تخفى على أحد ، يمكن رصدها بسهولة بمجرد التأمل .

فحوادث ١١ سبتمبر كانت حقاً رهيبة ، ولكنها ليست الاولى من نوعها بالنسبة لامريكا ، فقد حاول الإرهابيون أنفسهم حسب ادعاء الولايات المتحدة الامريكية وأجهزتها الاستخباراتية والفيدرالية FBI, CIA نسف مركز التجارة العالمى نفسه من قبل ، وتم ضبط أناس ومحاكمتهم ، أى ان الدليل المادى المزعوم ضد أفغانستان كان موجوداً منذ ١٩٩٣ م وكذا فإن عمليات مثل نسف السفارتين الامريكيتين فى كل من نيروبى ودار السلام منذ ثلاث سنوات ، وكذا نسف مقر قيادة البحرية الأمريكية «المارينز» فى بيروت عام ١٩٨٣ م والمدمرة الأمريكية كول فى مياه عدن وضرب الامريكيين فى الصومال بل والتمثيل بجثثهم ، وكلها حالات كانت أمريكا تتهم فيها ابن لادن شخصياً ، أو ما يسمى بالافغان العرب أو منظمات إسلامية على علاقة مباشرة بابن لادن وطالبان وأفغانستان ، ربما فيما عدا نسف قيادة مشاة البحرية فى بيروت عام ١٩٨٣ م المنسوبة لشيعة لبنان وفى كل مرة كان رد الفعل

يتمثل فى الانسحاب الامريكى من المكان محل الهجوم ، أو السكوت على مضض أو ضرب مجموعة من المنشآت بالصواريخ لامتصاص غضب الشارع الامريكى أو رد الاعتبار ، وصحيح أن هذه المرة – حادثة ١١ سبتمبر – هى الأكبر من نوعها، ولكن كمية الغضب ورد الفعل الامريكى كانا يقتضيان ضربات صاروخية سريعة مثلاً لأفغانستان لتهدئة الرأى العام الأمريكى ، ولكن الذى حدث أن العكس هو الذى يحدث ، فمن ناحية تم توصيل رسالة إعلامية واضحة تثير المزيد من الغضب وتؤججه ، وعلى حد تعبير الكاتبة الأمريكية سوزان مونتاج فى صحيفة اللوموند «فإن الفجوة التى تفصل بين ما حدث وما يستوجب فهمه من تلك الأحداث من ناحية وما تروج له الشخصيات العامة والتحليلات الإخبارية فى وسائل الإعلام الامريكية من ناحية أخرى لهى فجوة مثيرة للخوف وتدعو للاكتئاب ، ففيما يبدو أنهم جميعاً قد اتفقوا على شن حملة إعلامية تهدف إلى معاملة الرأى العام الأمريكى معاملة الاطفال» وتضيف نفس الكاتبة «إن المسئولين الذين يشغلون مناصب رسمية أو هؤلاء الذين يأملون فى ذلك أو هؤلاء الذين شغلوها يوماً ما ، من الواضح أنهم قد تآمروا جميعاً بإرادتهم بالاتفاق مع وسائل الإعلام الرئيسية على عدم تحميل الشعب الأمريكى عبء معرفة الحقيقة» .

وهكذا فإن هناك توجهاً مرسوماً نحو حشد الشعب الامريكى بطريقة ما باتجاه الموافقة على حملة عسكرية ضخمة – لأسباب سوف نحللها – حتى لو أدى الامر إلى سقوط خسائر فى صفوف القوات الأمريكية ، أو حتى لو ادى الأمر إلى عقاب شعوب بكاملها أو التسبب فى ضحايا أكثر عشرات المرات مما حدث فى نيويورك وواشنطن ، أو حتى لو أدى الأمر إلى عقاب جماعى بحثاً عن شخص أو بسبب شخص ، وذلك بدلاً من مناقشة القصور المخابراتى والأمنى ، وضعف أجهزة الرصد والتوقع ، أو البحث فى أسباب نقمة شعوب وجماعات على السياسات الأمريكية .

بدلاً من التفكير الهادئ فى الأسباب ثم تحديد الجناة ومن ثم معاقبتهم ، انطلقت الآلة الإعلامية فى اتجاه حشد معين ، وأصبح الحديث عن حروب صليبية جديدة ، وعن إمبراطورية الشر « العرب والمسلمين » وعن ضرورة ضرب الإرهاب ومن يحميه ومن يؤويه ثم دعوة العالم للمشاركة والتأييد ومن لا يساعد أمريكا يصبح عدوها ، فليس هناك خيار ثالث .

أضف إلى هذا أن الأهداف تم تحديدها ، والقوات بأعداد ضخمة جداً تم تحريكها قبل أن تكون هناك أدلة قاطعة على الفاعل الحقيقى ، وحتى الآن ومع مرور الوقت يثبت شيئاً فشيئاً مدى التخبط فى الاتهامات ونشر أسماء لا تزال حية هنا أو هناك على أنها التى قامت بالعملية ، وإذا كانت المباحث الفيدرالية الأمريكية لم تعرف حتى الآن على وجه الدقة أسماء الذين قاموا بالعملية فكيف لها أن تعرف صلتهم بابن لادن مثلاً وقد ثبت ذلك بعد ظهور أخطاء فى أسماء القوائم الأمريكية المنشورة عن منفذى العملية وظهور بعضهم فى السعودية والإمارات وغيرهما ، المهم أنه لا دليل حتى الآن قاطع على الجانى ، وبداهة لا يليق بدولة عظمى مثل الولايات المتحدة أن تمارس رد الفعل بدون دليل ، اللهم إلا إذا كان التحرك فى حد ذاته مخططاً من قبل ويحتاج الذريعة أو التوقيت المناسب ، ولعل التأمل فى الحجم الضخم من قوات بحرية– رغم عدم وجود منافذ بحرية لأفغانستان – وطيران وصواريخ وقوات برية ، وحشد دولى ، والبحث عن قواعد وتسهيلات فى باكستان وطاجيكستان وأوزبكستان وتركيا واليونان .. إلخ يعنى أننا أمام حملة كبرى سوف تستغرق وقتاً طويلاً ، وكذلك حديث الرئيس الأمريكى عن حشد الشعب الأمريكى وإمبراطورية الشر وضرورة اجتثاث الإرهاب فى كل مكان – وهذا مستحيل طبعاً – يعنى أن الأمر أكبر من مجرد حملة لرد الاعتبار ، أو ضربات توجه لأفغانستان عن بعد ، وكذلك معرفتنا بأن عقاب طالبان فى حد ذاته – وهى الضعيفة عسكرياً – عن بعد هو أفضل لأن دخول الجيش البرى الأمريكى

المستنقع الافغانى أمر ليس سهلاً ، وله مخاطر جمة ومع ذلك تصر عليه الولايات المتحدة ، لماذا ؟ ومن أجل أى أهداف ، هل من أجل القبض على ابن لادن وعدد من رجاله أو حتى قادة طالبان ؟! بالطبع لا ، والمسألة تحتمل أكثر من هذا السبب الذى يخفى أسباباً .

ثم إذا تأملنا إصرار الولايات المتحدة على أن تنفرد بتلك الخطوة بدون الحاجة إلى قوات أطلسية على غرار ما حدث فى يوغوسلافيا بدعوى أن ذلك أفضل من حيث عدم تضارب القرارات !! ودون الرغبة فى الحصول على تفويض من مجلس الأمن كما حدث فى العدوان على العراق عام ١٩٩١ ، يعنى أن هناك أجندة أمريكية خاصة بالمنطقة وبالموضوع وليست أجندة دولية .

وكذا لو تأملنا ما أكده عدد من المصادر منها صحيفة الجارديان البريطانية من أن الولايات المتحدة الامريكية كانت تفكر فى غزو أفغانستان قبل شهرين من حدوث الهجوم على واشنطن ونيويورك فى ١١ سبتمبر الماضى ، وأنه تم عقد اجتماع لمدة أربعة أيام فى منتصف شهر يوليو ٢٠٠١ الماضى ضم مسئولين أمريكيين وروس وإيرانيين وباكستانيين .

إذن فالإطاحة بطالبان – أو بالأحرى الرغبة الامريكية فى التواجد فى أفغانستان – هى أمور سابقة على حوادث الثلاثاء الرهيب وأن هناك بالتالى أسباباً لتلك الرغبة الأمريكية غير معاقبة ابن لادن أو القضاء على الإرهاب .

لماذا حرص الرئيس بوش على أن يحصل على دعم كل من الحزبين ، وكل من المجلسين ، بطريقة تشبه الإجماع ، ولماذا حدث هذا الإجماع فى دولة عريقة فى الديمقراطية ولا تتفق عادة على رأى واحد هل يمكن تفسير ذلك فى أن مصلحة الرأسمالية ومراكز المال والصناعة فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تستفيد عادة من الحروب وخاصة الكبيرة منها فى إغراء الحزبين « الجمهورى والديمقراطى » وحشد أعضاء الكونجرس ، ثم خداع الرأى العام عن طريق الإعلام لتحقيق مصالحها ، وهل يفهم فى هذا الإطار أيضاً أن تلك الحملة الأمريكية الدولية ضد الإرهاب لن تكتفى بأفغانستان وستصل إلى لبنان والسودان والعراق وإيران وسوريا وكل هذا يخدم المشروع الصهيونى الذى بات غير قادر على مواجهة المقاومة الإسلامية ، وهل تستغل إسرائيل الفرصة – فرصة انشغال العالم فى الحرب الضخمة على الإرهاب والدول التى تؤويه – فى إعادة هيكلة الواقع الفلسطينى على الأرض بما يجعلها قادرة على إملاء مطالبها، لماذا لا نفكر أيضاً فى أن التواجد العسكرى الأمريكى فى أفغانستان سيجعل من الممكن تحييد السلاح الباكستانى والإيرانى الممكن استخدامه ضد إسرائيل!! وخاصة أسلحة الدمار الشامل النووية وما تحت النووية ، الأمر الذى يطلق يد إسرائيل فى المنطقة بعد إخراج هاتين القوتين من المعادلة وبعد ضرب العراق ولبنان وربما سوريا والسودان لتخويف مصر ، ولكن أليس وجود القوات الأمريكية فى ذلك القوس من الخليج حتى باكستان وطاجيكستان وبحر قزوين سوف يقلل من قيمة إسرائيل الإستراتيجية .

الشىء الوحيد القابل للفهم هو أن الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تدخل أفغانستان لتبقى فيها ، يمكنها أن تقيم حكومة من شخصيات من الأغلبية والمعارضة ، أو تعيد أبناء ظاهر شاه أو هو شخصياً ولكن ذلك لا يمكن استمراره إلا تحت مظلة التواجد العسكرى الأمريكى المستمر فى أفغانستان ، وربما أيضاً إقامة قواعد دائمة فى باكستان وطاجيكستان

وأوزبكستان ، والمطلوب طبعاً هو السيطرة على بترول بحر قزوين ، وبذلك تكون القوات الأمريكية قد أحكمت سيطرتها وتواجدها المباشر على بترول الخليج وبترول بحر قزوين ، أى أحكمت سيطرتها على شريان الحياة ، ويمكننا أن نفهم أيضاً أن تستغل الولايات المتحدة هذا التواجد لدعم حركات انفصال فى الصين مثلاً، أو التحكم فى إمداد الصين بالبترول التى من المتوقع أن تصبح الصين مستوردة له بكميات كبيرة فى وقت قريب أو ربما المسألة متصلة بإعادة هيكلة آسيا بطريقة معينة بالتحالف مع تركيا واليابان مثلاً ، وكل الاحتمالات مفتوحة ، ولكن الواضح فيها أن رغبة الولايات المتحدة فى التواجد العسكرى فى أفغانستان وما حولها بصورة مستمرة هى السبب الأكبر فى كل ما تفعله وليس موضوع معاقبة ابن لادن أو طالبان إلا الذريعة ، ولعلها وجدت فى حادث الثلاثاء ما يعجل بتحقيق تلك الخطة المعدة سلفاً ، ولا يعنى هذا أنها هى التى فعلت ما حدث فى واشنطن ونيويورك أو أنها شجعت عليه أو سهلته، ولكن من يدرى كيف تدار الأجهزة الأمريكية ومن يخترقها ، أو يحركها أو يشكل وصاية عليها ؟! .

فى كل الأحوال فإنه رغم تلك الرغبة الأمريكية التى تحقق للولايات المتحدة التحكم فى كل بترول العالم تقريباً من الخليج إلى بحر قزوين والتى تحققت بفعل حرب الخليج الثانية ثم حرب الإرهاب المزعومة وبرغم كل المكاسب المتوقعة لصالحها غير البترولية ، فإن من الممكن أيضاً أن تكون تلك هى بداية النهاية للولايات المتحدة ، ويحدث لها ، ما حدث للاتحاد السوفيتى السابق فى أفغانستان ، وربما يكون الحريق ضد الوجود الأمريكى ليس فى أفغانستان فقط بل قد يمتد هناك إلى باكستان ثم الخليج العربى ذاته . من يدرى ؟! .

***

العالم على مفترق طرق



رد الفعل الامريكى على حوادث الثلاثاء الرهيب ، سوف تحدد شكل العالم فى السنوات القادمة ، وكثير من الامور ستختلف بعد حدوث رد الفعل هذا ، وتداعياته وشكله .

وبداية فإن الألم الشديد الذى نزل بأمريكا والخسارة الرهيبة التى لحقت بها، والتى ربما لم تحدث فى تاريخها كله «عشرة آلاف قتيل ، و٧٠٠ مليار دولار من الخسائر متمثلة فى انهيار المبانى الضخمة ، وتعطل حركة الطيران المدنى عدة أيام ، وتراجع البورصات وإغلاق أسواق المال لمدة أسبوع ، وتراجع سعر الدولار وغيرها» مقارنة بحادثة بيرل هابور التى قام فيها اليابانيون بتدمير الاسطول الامريكى فى بيرل هاربور وأوقعوا فيها ٢٥٠٠ قتيل ، ٥٠٠ مليون دولار خسائر مادية بأسعار الأربعينات – حوالى ١٠٠ مليار بأسعار اليوم – هذا فضلاً عن سقوط هيبة السيد الامريكى ، وزعزعة غروره بقوة ، وتهشيم جزء كبير من وجهه العسكرى والاقتصادى ... كل هذا كان فرصة لأن يعيد الامريكيون التفكير مرتين ، بمعنى أن يطرحوا على أنفسهم سؤالاً بديهياً ، هو ما السبب فى تعرض الولايات المتحدة لذلك كله ، لماذا كانت الولايات المتحدة الامريكية هدفاً للإرهاب هل هناك أخطاء فى سياساتها الخارجية مثلاً تسببت فى ظهور نوع من الحقد الاسود عليها ، هل ممارساتها قد أدت إلى إشعال الغضب فى نفوس عدد من البشر كبير أو صغير ، لدرجة التفكير فى الموت والقيام بعمليات انتحارية ضد أمريكا كرد فعل على هذه الممارسات ، وإذا أخذنا مثلاً العرب والمسلمين الذين أصبحوا متهمين لدى الإدارة الامريكية والصحافة الامريكية – كجماعة بشرية تشعر أو يشعر جزء كبير منها بالغيظ والغضب من سياسات الولايات المتحدة الامريكية ، فهل لهذا الامر أصل حقيقى وسبب موضوعى مثلاً ؟ ، هل هو إنشاء إسرائيل ودعمها المستمر وبالتالى التسبب فى فظائع ومآسى للشعب الفلسطينى والشعوب العربية

والاعتداء على مقدسات المسلمين ؟ ، هل القتل اليومى للفلسطينيين بطائرات أمريكية يمكن أن يؤدى إلى نوع من التفكير لدى الضحايا وذويهم وأبناء دينهم إلى مثل هذا الفعل ؟ ، وعلى حد تعبير الصحفى البريطانى روبرت نيسك « هذه ليست حرب الديمقراطية ضد الإرهاب ، هذا ما سيطلب من العالم أن يعتقده فى الأيام القادمة إنها حرب لها علاقة أيضاً بالصواريخ الأمريكية التى نزلت على منازل الفلسطينيين وبطائرات الهليوكوبتر الأمريكية التى ألقت حمم النار على عربات الإسعاف فى لبنان عام ١٩٩٦ وبالقنابل الأمريكية التى سقطت على قرية لبنانية اسمها قانا ، وميليشيا لبنانية الاسم إسرائيلية الزى أمريكية التمويل قتلت واغتصبت المئات فى معسكر للاجئين « صابرا وشاتيلا » .

وعلى حد قول الكاتب والمفكر الامريكى - اليهودى غير الصهيونى - ناعوم تشومسكى « كانت التفجيرات فى نيويورك وواشنطن فظيعة ولكنها ليست أشد فظاعة من جرائم أخرى ارتكبتها الولايات المتحدة الأمريكية فى حق شعوب أخرى كان آخرها ما فعلته حين دمرت بلا جريره نصف إنتاج الدواء السودانى فى مصنع الشفاء بالخرطوم » .

هل تفكر الولايات المتحدة ، مفكروها ، وسياسيوها ، وحكامها وجماعاتها- الرئاسة - المخابرات - البنتاجون - الكونجرس - الصحافة ... إلخ فى أن سياسة الحصار على العراق مثلاً أدت إلى مليون قتيل معظمهم من الأطفال ؟ ، وأن العولمة والجات والرأسمالية المتوحشة تتسبب فى تهميش المزيد من الناس والفقراء كل يوم ، خاصة فى الجنوب ؟ ، أم أن الضجيج والصياح سيكون البديل ، للوصول إلى أهداف لا علاقة لها بمصلحة أمريكا ؟ ، هل تدرك الولايات المتحدة الأمريكية أن القوة والاستخبارات والاستحكامات مهما كانت لن تحمى أمريكا ، بل يحميها سياسة أخلاقية ؟ ، هل تكف مثلاً عن

استخدام الفيتو ضد كل قرار يدين إسرائيل ؟ !! أم أن العكس سيحدث تماماً، بمعنى هل تستغل قوى معينة فى أمريكا وخارجها حالة الغضب والغبار الشديد المتصاعد من المبانى المهدمة لإحداث حالة من التضليل والهيستريا لدى الرأى العام ، فيفسر الأمر على أن هناك أقواماً شريرة تريد القضاء على أمريكا الطيبة ، هكذا شريرة بلا مبرر ولا دافع ، وأمريكا طيبة على طول الخط، وأن الصراع هو بين الخير الذى تمثله أمريكا وبالتالى إسرائيل وبين الشر الذى يمثله كل من يرفض الأمركة ، أو يقاوم إسرائيل ، أو ينتقد العولمة ، أو يظهر الضجر من قوانين السوق .. الحقيقة أن هذا ما حدث ، فالمسألة وصفت على أنها أفعال شريرة تستحق القضاء عليها فى كل مكان ، القضاء على الإرهاب ومن يدعمه ، ولو على حساب كل شىء ، يمكن ضرب أهداف مدنية ومنشآت وإسقاط ضحايا من البشر العاديين فى أفغانستان ، سوريا ، لبنان ، اليمن ، إيران ، السودان ، ليبيا ، بل ودعوة إخوانهم من العرب والمسلمين فى المشاركة فى المجهود والحرب ضد هؤلاء الأشرار اليوم أو غداً ، وإلا فهم بدورهم أعداء لأمريكا ، وللحضارة ، فالحرب بين التحضر والهمجية وهذا يقتضى فعل كل شىء لحماية التحضر ، حتى لو كان الفعل نفسه غير متحضر، إنها بالطبع فرصة للقضاء على كل البؤر المعادية لأمريكا وإسرائيل ، وتحويل المعركة إلى حرب عالمية ثالثة ضد الإسلام والمسلمين ، والهيستريا بدأت فى عمليات الانتقام الفردى والجماعى من الوجود الإسلامى فى الغرب وأمريكا ، والاعتداء على المساجد والمراكز الإسلامية والأفراد والمؤسسات والنساء المحجبات وأطفال المدارس .. إلخ ، وكذا ظهرت الدعوات لمنع هجرة المسلمين إلى الغرب والتشدد فى قوانين الإقامة والهجرة ودفعهم إلى العودة إلى بلادهم ، وكذلك فى تحويل المجتمعات الأوروبية وأمريكا إلى مجتمعات بوليسية على حساب الحرية الفردية ، وكل هذا بالطبع سيزيد من حالة الغضب والعداء لأمريكا والغرب ويعطيه المزيد من الوقود ، وبالتالى يزيد من فرصة تكرار الأعمال

الإرهابية لانه مهما تطورت وسائل الامان فإن الإرهاب بدوره سيطور نفسه وهذه سنة الحياة فى كل شىء ، ولن تستطيع كل الإجراءات منع الإرهاب مهما كانت محكمة ، وهذه أيضاً سنة كونية يجب أن تعرفها أمريكا ، فدرع الصواريخ لن يحميها ، والتفتيش الدائب فى المطارات لن يحول دون خطف الطائرات ! ويمكن أن تأتيها الضربة من أماكن وطرق لا تخطر على بالنا الآن ، وربما يدخل هذا فى سنن الله تعالى القاضية بانهيار الحضارات المغرورة والقوة المتغطرسة ، ويمكن أن يكون ما حدث فى الثلاثاء الرهيب هو المقدمة لتنفيذ إرادة الله وسنته فى انهيار الحضارة الأمريكية لأنها تغطرست ولم تخضع للسنن الكونية فى استمرار الحضارات .

***

الآثار المتوقعة لحادث ١١ سبتمبر

على المعادلات الدولية والإقليمية



ما بعد ١١ سبتمبر ليس مثل ما قبله بالتأكيد ... فكثير من العلاقات والمعادلات الدولية والإقليمية يمكن أن تتغير ، وهذا يعنى أن علينا دراستها وبالتالى الاستفادة منها ، أو تقليل آثارها الضارة علينا ، وبدون الدراسة والبحث ومعرفة موقفنا فى العالم الجديد والتحرك بسرعة إزاء هذا الواقع فإننا نكون قد أخطأنا فى حق مستقبلنا .

حادث ١١ سبتمبر رفع الغطاء عن كثير من الحقائق ، ودفع بها إلى الصدارة وأحدث مستجدات جديدة لم تكن موجودة .

من الحقائق التى رفع عنها حادث ١١ سبتمبر الغطاء ، ذلك الموقف المعادى جماهيرياً ورسمياً وشعبياً فى الغرب وأمريكا للإسلام والمسلمين ، فالتفسير السريع الذى اندفع إلى الصدارة قبل أن تبدأ التحقيقات أصلاً ، هو أن العرب والمسلمين هم المسئولون عن الحدث ، وأن أسامة بن لادن وجماعة القاعدة وأفغانستان وطالبان يجب معاقبتهم ، وتحركت الأساطيل والطائرات والجنود لتنفيذ المهمة قبل أن يتأكد أحد من جدية الاتهام ، وسجلت الحوادث اليومية زيادة الاعتداءات على العرب والمسلمين المقيمين بأوروبا وأمريكا ، ودار الحديث علناً وهمساً عن الإسلام الذى يفرز العنف ، وعن إمبراطورية الشر التى يمثلها المسلمون .. وكان معنى هذا أن العداء للإسلام والموقف من العرب والمسلمين موقف سابق قد وجد الفرصة للتعبير عن نفسه .

ومن تلك الحقائق أيضاً أن مفهوم الحرية المزعوم فى الغرب وأمريكا قد سقط فى الامتحان .. فالشبهات حامت حول كل عربى ومسلم ، ومنع كثيرون من السفر ، أو اعتقل البعض بلا ذنب ثم أفرج عنه بعد ذلك ، وصدرت تشريعات تبيح القمع – للعرب والمسلمين تحديداً – بل وتم تجميد أرصدة لجماعات وأفراد وهيئات خيرية دون أن يصدر حكم قضائى بذلك .

وعندما تم ضرب أفغانستان – وهى الدولة الأضعف والأفقر – على يد الدولة الكبرى والأقوى ، مع حلفائها الأقوياء إنجلترا وكندا وإستراليا واستعداد فرنسا لذلك ودعم ألمانى ويابانى وتواطؤ روسى ... إلخ اكتشفنا أننا أمام الغرب كل الغرب وليس الأمريكان وحدهم ، وأن هذا الغرب الذى طالما صدع رؤوسنا بمبادئ الحرية والعدالة والقانون الدولى ، يمارس سياسة العقاب الجماعى، ويضرب دولة وشعباً بحجة البحث عن رجل أو مجموعة رجال – دون الرجوع حتى للأمم المتحدة – وكان هذا سقوطاً عملياً للمبادئ المزيفة للحضارة الغربية .

سنفترض أن ابن لادن مسئول فعلاً ، وكذا تنظيم القاعدة وحكومة طالبان، وأنهم يستحقون العقاب ، حسناً فلتعاقبهم أمريكا ولكن لماذا لا تعاقب فى نفس الوقت الذين ارتكبوا الجرائم فى حق الشعب الفلسطينى والعراقى والذين ضربوا الطائرة المدنية المصرية عام ۱۹۷۲ م ، والإيرانية عام ۱۹۹۰ م والذين ضربوا المدنيين والمنشآت المدنية فى السودان وليبيا ، واعترفوا بالخطأ فيما بعد، والذين ارتكبوا جرائم الإبادة ضد الهنود الحمر والأبورجيين « سكان إستراليا الأصليين » وجرائم الاسترقاق والاستعمار والمذابح هنا وهناك ؟ أليست هذه عنصرية ؟!!! .

واكتشفنا أيضاً أن أقوى الدول والشعوب فى مواجهة أمريكا كانت أفغانستان – وأضعفها موقفاً هى باكستان التى تمتلك القنبلة الذرية ، والحجة فى الخضوع فى حالة باكستان هى خوفها على منشآتها النووية ، وهكذا فإن الحصول على عناصر القوة كانت من عوامل الخضوع ، فلم تزدنا القنبلة النووية إلا خضوعاً والمفروض أنها كانت عامل قوة ، وهذا يفتح الباب واسعاً لمناقشة الأسلوب الصحيح للتنمية والحصول على عناصر الصمود ، فمادمنا فى حالة مواجهة – أردنا أو لم نرد – مع الغرب وأمريكا فعلينا أن نختار أسلوب التنمية

وعناصر القوة التى تدعم صمودنا وليس العكس وفى هذا الصدد علينا التركيز على التنمية المستقلة غير المرتبطة بالنظام الإقتصادى الدولى والعولمة - بمعنى التركيز على الزراعة والمشروعات الصغيرة ، لان هذه من الصعب ضربها ومن الصعب التحكم فيها (*) اما بناء مصانع كبيرة والحصول على سلاح ثقيل فهذا يزيدنا ضعفاً ، لانهم يمتلكون سلاحاً أقوى ، ولانهم يستطيعون ضرب المصانع الكبيرة والأسلحة الثقيلة ، سنضرب مثلاً إذا كان لدينا الرغبة فى بناء مصنع كبير للدواء مثل السودان ، يمكن ضربه بصاروخ كروز أوتوماهوك فى لحظات ، أما إذا انشأنا بنفس التكاليف ١٠٠٠ «الف» معمل صغير للدواء فهذا يُصعّب عملية تدميرها ، والمسألة أشبه بوضع البيض فى سلة واحدة أو وضعها فى عدد من السلال ، والمثل المعروف يقول لا تضع كل البيض فى سلة واحدة ، وكذا القواعد العسكرية والإمكانيات العسكرية الضخمة يسهل ضربها ، وهى أصلاً لن تحسم المعركة لصالحنا لان الغرب وإسرائيل متفوقون علينا عسكرياً ومعلوماتياً وعلمياً ويجب الا نخدع أنفسنا ، بل يجب الاعتراف بالحقيقة ثم البحث عن الوسائل الصحيحة لتجاوز هذه الحقيقة وتحقيق أهدافنا . ليس معنى هذا أننا نرفض القوة والتقدم ، ولكن نقول يجب أن ندرك ما حولنا وإمكانياتنا وتحدياتنا وظروفنا ومواجهتها بالاسلوب الصحيح، وهو التنمية المستقلة ، توزيع المشروعات فى كل مكان ، التركيز على الزراعة ، بناء الإنسان القوى المؤمن وليس الترسانة العسكرية القوية وممارسة الحرب الشعبية وليست النظامية .

***

(*) راجع فى هذا الصدد كتابنا خطوط عريضة فى المشروع الحضارى الإسلامى ، وكتاب صفحات من كفاح شعب مصر ، الجزء الأول .

من الحقائق المستجدة التى أفرزها حادث ١١ سبتمبر ، هو أن العالم لم يعد قاصراً على قطب واحد ، فما حدث يعنى أن بالإمكان إنزال الخسائر الباهظة بأقوى دولة فى العالم ، وأنها لم تعد محصنة أو لا يمكن الوصول إليها أو معاقبتها ، بل يمكن ذلك بأساليب متاحة مع قدر من العزم والتصميم ، وأنه إذا كان الاتحاد السوفيتي السابق قد سقط فإن قطباً جديداً هو الإرهاب قد صعد ، وسوف يحدث هذا نوعاً من التوازن الدولى يمكن استفادة الشعوب منه كما كانت تستفيد من التناقض السوفيتى الأمريكى . . بل أكثر من هذا أن الباب أصبح مفتوحاً أمام ظهور تحالف شعبى ضد أمريكا يمارس ضدها النضال بكل أشكاله لانتزاع حقوق الشعوب ويصمد فى مواجهتها ، وهذا التحالف يضم كل المستضعفين فى العالم ومناهضى العولمة والحركات الإسلامية وغيرها ، ويمكن أن يكون الجذر الحضارى الإسلامى جذراً أيديولوجياً لهؤلاء ، على أساس أن المسلمين ربع العالم هم أول المستهدفين أمريكياً وعلى أساس أن الإسلام دين عالمى خطابه غير عنصرى قادر على حشد المسلمين وغير المسلمين تحت لوائه ، وهذا يرتب ضرورة تطور مفاهيم ووسائل وخطاب الحركات الإسلامية وعلماء الدين لتقديم خطاب عالمى ، مدافع عن كل مستضعف وليس كل مسلم فقط ، وتقديم الإسلام كأيديولوجية للفقراء ، ولا شك أن النص الدينى الإسلامى ، والممارسات الحضارية الإسلامية تسمح بذلك ، من الحقائق المستجدة أيضاً ، أن الحكومات أدركت أنها أيضاً مستهدفة أحياناً وأن الضربات ستطولها الواحدة بعد الأخرى ، ما لم تقدم الولاء والخضوع الكامل لأمريكا وهذا غير ممكن لأنه يثير مشاكل مع الشعوب ، ومن الأفضل طبعاً أن ترضى الحكومات شعوبها وتقف بجانبها بدلاً من العكس .

من الحقائق المستجدة كذلك . أن الجميع اكتشف أن أمريكا هى العدو فى أفغانستان والعراق وفلسطين ، وبالتالى فإن الخلاف الذى كان يحدث على الأولويات قد تلاشى ، بل إن كل القوى العربية مثلاً القومى والوطنى

والإسلامى أصبح فى خندق واحد ، ولابد ان يفرز لغة وخطاباً واحداً سيكون إسلامياً غالباً لان الحرب حرب حضارية وليست حرباً قومية او وطنية فقط ، وهذه ميزة يجب ان يرتفع الخطاب الإسلامى لاستيعابها ليس بمنطق « الم نقل لكم » ولكن بمنطق أننا جميعاً شركاء فى الدفاع عن امتنا .

أحداث ١١ سبتمبر والعدوان على أفغانستان أفرز نوعاً من النشاط والحيوية فى صفوف الشعوب ، فالمظاهرات فى باكستان واندونسيا ومصر والمغرب والسودان واليمن ولبنان والعراق ، وإيران وتركيا وكل مكان قد اندلعت ، وشعار الموت لامريكا لم يعد قاصراً على الإيرانيين وحلفائهم والمتعاطفين معهم، بل انتقل إلى كراتشى وجاوة وسومطرة .. وعلماء السعودية السلفيون هم الاكثر راديكالية فى مواجهة أمريكا وكذلك علماء باكستان المتأثرون بالفقه السلفى .

وهكذا أصبح الجميع فى نفس الخندق ، السنة والشيعة ، السلفيون وغير السلفيين ... إلخ وهذا امر له ما بعده بكل تأكيد .

وربما يرجع هذا إلى الإحساس بالثقة فى النفس عقب أحداث ١١ سبتمبر وبصرف النظر عن مشروعية العمل من عدم مشروعيته ، وأيا كانت نتائجه فإن معنى توجيه الاتهام إلى عرب ومسلمين بالقدرة على القيام بعمل خطير مثل هذا يحتاج إلى الدقة والتنظيم ، هو فى حد ذاته نوع من إعطاء الثقة بأننا لا نزال أمة قادرة على إفراز اذكياء وأكفاء حتى لو كانوا أشراراً ، وأننا لسنا أمة نائمة أو عاجزة أو غائبة عن الوعى ، وهذا بالتحديد ما جعل عدداً من الرموز الفكرية التخريبية تحاول ان تقول إنه لا يمكن لعربى ومسلم ان يقوم بكل هذا العمل الذى يحتاج إلى الدقة والجسارة ، وتم توجيه الاتهام إلى اليهود وإسرائيل أو الصرب أو اليمين الامريكى أو اليابانيين ، وكان منطق هؤلاء أننا نبعد التهمة عن العرب والمسلمين حتى لا يتعرضوا للانتقام والخسارة ، والحقيقة ان امريكا

تحركت وضربت وأن العقاب نزل ، والذى يترتب على هذا التفسير هو سحب رصيد الثقة الذى تراكم داخلنا عقب الحادث ، أكثر من هذا فإن إدراك الغرب أن العرب والمسلمين قادرون على فعل أعمال بهذا المستوى حتى ولو كانت أعمالاً شريرة سوف يقلل من غرورهم تجاهنا ، وغطرستهم ضدنا ، وسوف يدفعهم فى التفكير لعدم استفزازنا ، وذلك بعد الخروج من حالة رد الفعل الحالية ، وفى كل الأحوال فإن النتائج ستكون لصالحنا ، لأن هؤلاء وغيرهم لا يفهمون إلا لغة القوة ولا يحترمون إلا القادر على إنزال الأذى بهم .

***

التأثيرات المحتملة على قضية العرب والمسلمين الأولى ، وهى قضية فلسطين، تأثيرات متنوعة وأحياناً متعارضة ولابد من دراستها وفحصها وتحديد اتجاهاتها لنخرج بالمحصلة سلباً أو إيجاباً .

وبداية فإن ضربات ١١ سبتمبر كانت رسالة إلى الولايات المتحدة بأن ممارساتها فى العالم عموماً وفى فلسطين خصوصاً كانت أحد أهم الدوافع لارتكاب الحادث ، وقد تأكدت هذه الرسالة فيما بعد فى كلام أسامة بن لادن وغيره ، وكذا سيل التحليلات الذى ربط بين الحادث وممارسات إسرائيل ودعم أمريكا لها ، وإذا كانت هذه الرسالة لم تستوعب بعد ، بسبب ظروف المفاجأة والصدمة ، فإنها لابد ستصل إلى عقول الأمريكيين ، بل وبدأ هذا بالفعل ، سواء فى أن عدداً كبيراً من الأمريكيين أعربوا عن أن ما نزل بهم كان بسبب إسرائيل – فى استطلاع للرأى أعرب ٥٨٪ من الأمريكيين عن ذلك – وكذلك فى الإشارات التى أطلقها الرئيس الأمريكى ورئيس الوزراء البريطانى حول اقتناعهما بضرورة قيام الدولة الفلسطينية ، وفى نفس الوقت يجب ألا نخدع بهذا ، فلو لم يستمر الضغط لتلاشى ذلك سريعاً جداً ، على أى حال فإن هذه نقطة إيجابية لصالحنا أحدثتها أحداث ١١ سبتمبر ، ومن الآثار الإيجابية على

معادلات الصراع أيضاً ، أن أمريكا أدركت أن إسرائيل عبء عليها ، وأن قواتها مضطرة للتواجد فى آسيا الوسطى لأسباب مختلفة وهذا يعنى أن القوات الأمريكية بنفسها أصبحت موجودة فى هلال واسع من الخليج إلى بحر قزوين ، وبالتالى قلت الأهمية الإستراتيجية لإسرائيل ، ولعل هذا ما يفسر التراشق اللفظى بين شارون والأمريكيين وخوف شارون من أن يتم التضحية بإسرائيل لإرضاء العرب والمسلمين كما حدث لتشيكوسلوفاكيا إبان الحرب العالمية الثانية وتحذيره من أن ذلك لم يمنع وقوع الحرب .

أكثر من هذا أن الثقة المترتبة على الحادث فى نفوس العرب والمسلمين والفلسطينيين سوف يؤكد خط الاستشهاد وهذا يضرب إسرائيل فى صميم وجودها . فقد أصبح من الممكن تطوير العمليات الاستشهادية ضد إسرائيل بالطريقة ذاتها خاصة وأن هناك ١,٢ مليون فلسطينى عرب يعيشون داخل فلسطين ١٩٤٨ م ، ولديهم جوازات سفر إسرائيلية وحاصلون على الجنسية الإسرائيلية .

وفى المقابل فإن هناك آثاراً للحادث لصالح إسرائيل ، فيمكن لإسرائيل أن تستفيد من حالة الغضب الشعبى والحكومى الغربى على العرب والمسلمين ، وكذا فإن تواجد القوات الأمريكية فى آسيا الوسطى ، فى قلب باكستان ، وبجوار إيران يعنى تحييد القوة النووية الباكستانية التى كانت تمثل عنصر توازن لصالح العرب ضد القوة النووية الإسرائيلية ، وكذلك تحييد قوة الصواريخ الباليستية الإيرانية التى كانت تهدد إسرائيل .

وكذلك فإن من الممكن ضرب العراق وسوريا وإيران ولبنان وليبيا وربما السودان واليمن والضغط على مصر ، بحجة مطاردة الإرهاب ، واستهداف حزب الله فى لبنان وحماس والجهاد الإسلامى فى فلسطين وكل هذا بالطبع يصب فى خانة المصلحة الإسرائيلية .

***



أفغانستـــان

التاريخ والجغرافيا

هل يكون الغزو الأمريكى لأفغانستان هو بداية النهاية والطريق إلى تراجع أمريكا وبدء منحنى هبوطها بعد أن وصلت إلى حالة الانفراد بالقوة فى العالم ، كما حدث للاتحاد السوفيتى السابق عقب غزوه وفشله فى أفغانستان .. أم يحدث العكس وتصبح أمريكا هى أول قوة فى التاريخ المعاصر تستطيع إخضاع الأفغان والسيطرة على بلادهم ؟! وهو الأمر الذى لم يستطع تحقيقه لا الإنجليز ولا السوفيت ..

هل تلعب الجغرافيا نفس الدور ، أم أن الآلة الامريكية سوف تستطيع إخراج الجغرافيا من العوامل المحددة لمصير الصراعات فى أفغانستان .

إنها أسئلة محورية ، ربما تشكل الإجابة عليها ، شكل العالم فى القرن الواحد والعشرين .

فى كل الأحوال ، فإن التاريخ والجغرافيا – حتى الآن – لعبا دوراً فى منع أى قوة خارجية من الاستقرار فى أفغانستان وسوف نتعرض لهذا التاريخ والجغرافيا.

***

تقع أفغانستان فى قلب آسيا ، وهى دولة قارية بلا أى منافذ بحرية ، وتمتد الحدود الدولية لأفغانستان ٥٧٦٩ كيلو متر ، منها ٢٤٦٦٦ كيلو متر مع باكستان فى الشرق والجنوب ، ٨٤٩ كيلو متر مع إيران فى الغرب ، ٧١ كيلو متر مع الصين فى الشرق ، ٢٣٨٣ كيلو متر مع دول الاتحاد السوفيتى السابق «طاجيكستان ، أوزبكستان ، تركمانستان ، كيرخيزيا ، «كازاخستان» .

تبلغ مساحة أفغانستان ٦٥٢٢٢٥ كيلو متر مربع ، ويشبه شكلها شكل ورقة الشجرة ، وعاصمتها كابول وأهم المدن هى مزار الشريف فى الشمال ، هيرات فى الغرب ، قندهار فى الجنوب ، جلال أباد فى الشرق ، وتنقسم

أفغانستان إلى ٣١ ولاية وتنقسم كل ولاية إلى مديريات تنقسم بدورها إلى مراكز وقرى .

وبخصوص السطح والمناخ ، تنقسم أفغانستان إلى ثلاث مناطق رئيسية هى السهول الشمالية وتتمتع هذه السهول بتربة خصبة تكثر فيها الزراعة ورعى الأغنام ، ويبلغ متوسط درجة الحرارة فى تلك السهول ٣ درجات مئوية فى يناير و٣٢ درجة مئوية فى يوليو ويبلغ المعدل السنوى للأمطار فى هذه المنطقة ١٨ سم[٣] .

والمنطقة الثانية – وهى الأكبر – وتبلغ ثلثى مساحة أفغانستان هى المرتفعات الوسطى ، ويبلغ أقصى إرتفاع لها ٧٦٢٠ متر ويبلغ متوسط درجة الحرارة فى هذه المرتفعات ٤ درجات مئوية تحت الصفر فى يناير ، و٢٤ درجة مئوية فى يوليو ، ويبلغ المعدل السنوى للأمطار هناك ٣٨ سم[٣] ، والمنطقة الثالثة هى الهضبة الجنوبية الغربية وتقع فى جنوب غرب أفغانستان ويبلغ متوسط ارتفاعها ١٠٠٠ متر ، ومساحتها تبلغ ٨٠ ألف كيلو متر مربع ، والمعدل السنوى للأمطار فيها ٢٣٫٥ سم[٣] ، ويبلغ متوسط درجة الحرارة فيها ٢ درجة مئوية فى يناير ، ٢٩ درجة مئوية فى يوليو ، وتوجد فى أفغانستان أربع مجموعات نهرية أساسية هى مجموعة نهر أموداريا ، مجموعة هارى رود فى الشمال ومجموعة هلمند فى الجنوب ، مجموعة نهر كابل فى الشرق .

يبلغ عدد سكان أفغانستان ٢٥ مليون نسمة ، ويوجد بها ٢٠ جماعة عرقية أهمها البشتون ٤٣٪ ، الطاجيك ٢٧٪ ، الأوزبك ٦٫٦٪ ، الإيماق ٣٫٥٪ ، الفاراسون ٢٫٥٪ ، الهزارا ٣٫٣٪ .

وسكان افغانستان معظمهم من المسلمين السنة على المذهب الحنفى ٨٢ – ٩٠٪ وشيعة على المذهب الجعفرى ٨ – ١٧٪ ، وأهم اللغات هى البشتو والدارى « لهجة فارسية يتكلم بها عدد كبير من السكان » .

والتاريخ المعاصر لأفغانستان يبدأ من عام ١٧٤٧ م عندما أسس أحمد شاه الأبدالى «أحمد شاه بابا» دولة أفغانستان واتخذ من قندهار عاصمة له ، وبسبب موقع أفغانستان الجغرافى تتنافس عليها العديد من القوى الدولية الطامعة ، فحدث صراع بين الإمبراطوريتين البريطانية «فى الهند» والروسية خلال القرن التاسع عشر ، وقد تشكلت حدود أفغانستان الحديثة بناء على هذا التنافس لتصبح دولة عازلة بين هاتين الإمبراطوريتين ، وفى القرن العشرين ظلت أفغانستان أيضاً بسبب موقعها الجغرافى ميداناً للتنافس الأيديولوجى والتجارى بين روسيا ثم الاتحاد السوفيتى فيما بعد وبريطانيا ، ثم الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، وقد خاضت أفغانستان العديد من الحروب ضد بريطانيا التى كانت تستهدف السيطرة عليها لتضمها إلى إمبراطوريتها الهندية فى آسيا، مثل الحرب من ١٨٣٩ م – ١٨٤٢ م وأسفرت عن أسوأ هزيمة لبريطانيا فى التاريخ الحديث ، ثم عاودت بريطانيا الكرة ١٨٧٨ م – ١٨٨٠ م وانتهت أيضاً هذه الحرب بانسحاب القوات البريطانية ، ثم مرة أخرى عام ١٩١٩ م واستمرت عدة أسابيع ، تقهقرت فيها القوات البريطانية إلى داخل الهند يتبعهم الأفغان مما اضطر بريطانيا لتوقيع معاهدة روالبندى فى ٨ / ٨ / ١٩١٩م التى اعترفت فيها بريطانيا باستقلال أفغانستان داخلياً وخارجياً .

وبسبب الموقف الدقيق لأفغانستان فى إطار الصراع بين القوى العظمى فإنها التزمت الحياد فى الحربين العالميتين فى القرن الماضى (١٩١٤ م – ١٩١٨ م ، ١٩٣٩ م – ١٩٤٥ م) .

ومن ناحية الإمبراطورية الروسية ثم الاتحاد السوفيتى السابق ، فإن العلاقات الأفغانية معها مرت بالعديد من الأحداث ، فقد عقدت أفغانستان وروسيا معاهدة عام ١٨٧٣ م لرسم الحدود بينهما ، واعترفت فيها روسيا باستقلال أفغانستان وسيادتها على أراضيها وفى عام ١٩٢١ م وقعت أفغانستان مع الاتحاد السوفيتى الذى كان قد ظهر لتوه بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧ م

معاهدة للصداقة والتعاون بين البلدين ، وفى عام ١٩٥٦ م زادت المساعدات الروسية لأفغانستان وكذلك النفوذ السياسى والأيديولوجى ثم جاء الانقلاب الشيوعى فى أفغانستان فى ٢٧ أبريل ١٩٧٨ م ، ثم توقيع اتفاقية صداقة مع السوفيت فى ٥ / ١٢ / ١٩٧٨ م ثم الغزو السوفيتى لأفغانستان فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ م .

وقد تعاقب على حكم أفغانستان عدد من الملوك بدءاً من أحمد شاه بابا ١٧٤٧ م وانتهاء بالملك ظاهر شاه ١٩٣٣ م - ١٩٧٣ م ثم أطاح به رئيس وزرائه محمد داود فى ١٧يوليو ١٩٧٣ م وأعلن قيام الجمهورية فى أفغانستان، ثم جاء الانقلاب الشيوعى سنة ١٩٧٨ م ليطيح بمحمد داود ليحل محله نور الدين تراقى الذى ما لبث أن تعرض لانقلاب على يد حفيظ الله أمين فى سبتمبر ١٩٧٩ م ثم تعرض حفيظ الله أمين لانقلاب مدعوم من السوفيت مباشرة هو انقلاب بابراك كارمل فى ديسمبر ١٩٧٩ م ثم أقصى كارمل عن السلطة وأحل السوفييت محله محمد نجيب الله سنة ١٩٨٦ م ثم حكومة المجاهدين الأفغان مايو ١٩٩٢ م ، ثم حركة طالبان منذ عام ١٩٩٦ م وحتى الآن .

***

الغزو السوفيتى لأفغانستان الذى بدأ عام ١٩٧٩ م ، وانتهى عام ١٩٨٩ م تجربة تستحق الاهتمام ، ذلك أنها ربما تكون نموذجاً يحتذيه الشعب الأفغانى فى مقاومته للغزو الأمريكى الجديد ، وربما تكون نتائجه مشابهة أيضاً ، فينهزم الأمريكيون فى أفغانستان ويحدث لهم ما حدث للسوفييت من تراجع وضعف .

الغزو السوفيتى لأفغانستان بدأ فى ١٩٧٩ م لإسناد حكومة موالية ، أو بالتحديد تنصيب حكومة موالية ، فالقوات السوفيتية هى التى أطاحت بحكومة حفيظ الله أمين ، ثم جاءت بكارمل من المنفى لتجعله رئيساً

للجمهورية ، لدرجة أن بابراك كارمل ألقى بيانه إلى الشعب الأفغانى عن طريق إذاعة طشقند وليس إذاعة كابول وفى نفس الوقت كانت المزيد من القوات السوفيتية تتدفق براً وبحراً وجواً على أفغانستان فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ م ، وقد وصل عدد القوات السوفيتية فى أفغانستان عام ١٩٨٢ م ٨٥ ألف جندى، وصلوا إلى ١١٥ ألف جندى عام ١٩٨٥ .

وهكذا فإن الشعب الأفغانى كان عليه أن يواجه نظاماً عميلاً ، وأن يواجه جيش هذا النظام العميل ، وأن يواجه ١١٥ ألف جندى وفى أقل الحالات ٨٥ ألف جندى سوفيتى مدعومين بطائرات ودبابات وصواريخ واستخبارات إحدى القوتين العظميين فى ذلك الوقت ، وبديهى أن الحدود السوفيتية مع أفغانستان كان عاملاً لصالح السوفييت ، على عكس الأمريكان الذين عليهم أن يستأجروا أو يحصلوا على تسهيلات من باكستان وطاجيكستان وأوزبكستان .. إلخ ، وكذلك علينا أن نقارن بين حجم القوات السوفيتية الغازية « ١١٥ ألف جندى» وبين القوات الأمريكية « ٣٠ ألف جندى من قوات المارينز ودلتا وغيرها» ، وكذلك إدراك أن الجيش البرى السوفيتى كان هو الأكبر فى ذلك الوقت .

ليس هذا فحسب ، بل إن الأيديولوجية الشيوعية كانت تجد من يروج لها ويدافع عنها داخل أفغانستان وخارجها وهذا يجعل حشد الشعب الأفغانى فى مواجهة السوفييت أصعب منه فى مواجهة الأمريكان ، وكذلك فإن السوفييت فعلوا كل شيء من أجل غسيل مخ الشعب الأفغانى ، ومارسوا التضليل والقمع معاً ، وافتتحوا مدارساً عقائدية ، واستقدموا الشباب الأفغانى للدراسة فى موسكو وغيرها ، ولم يتورعوا كذلك عن القتل والتعذيب والحبس وكل أنواع القهر بحق الشعب الأفغانى .

وهكذا فإن المقارنة مع الظروف الحالية إبان الغزو الأمريكى ليست لصالح الأمريكان على طول الخط ، اللهم إلا وجود حصار على أفغانستان من جيرانها،

وهو أمر سوف يؤدى إلى سقوط طالبان ولكن هذه ليست النهاية ، بل هى البداية ، وسوف يتآكل النصر الامريكى السريع على مر الايام وسوف نرى .

ومع إدراك أن السوفيت خسروا ٤٠ ألف قتيل ، وأن الشعب الافغانى استطاع أن يمارس المقاومة بلا انقطاع حتى انتهى الأمر بانسحاب السوفيت عام ١٩٨٩ م . « ١٥ فبراير ١٩٨٩ م » لامكننا توقع المصير المنتظر للغزو الأمريكى .

ولا ننسى هنا إن نقول أن قوات رمزية أو حقيقية جاءت من مختلف الدول الشيوعية فى ذلك الوقت لمساعدة السوفيت فى حربهم ضد الشعب الأفغانى، جاءت قوات من كوبا وألمانيا الشرقية وبلغاريا واليمن الجنوبى « عدن » ، على غرار ما يحدث الآن من مشاركة بريطانية وفرنسية ويابانية وألمانية وكندية وإن السوفيت استخدموا جميع الأسلحة ، الطائرات القاذفة والمقاتلة والمروحية وجميع الدبابات والعربات ، والأسلحة الكيميائية أيضاً ناهيك عن الاعمال الاستخباراتية لجهاز الـ K. G. B « جهاز المخابرات السوفيتى » .

لننتظر ما تسفر عنه الايام ، أو السنوات ، ونرى مصير الأمريكان على غرار مصير الروس أو العكس ، صحيح أن الامريكان قد حققوا انتصارات واضحة ، فأطاحوا بنظام طالبان ، ودمروا الكثير من قوات القاعدة ، وأقاموا حكومة تابعة لهم فى أفغانستان ، ولكن السنوات ستقول كلمتها ، لأن المقاومة ستنشأ حتى من بين الأنقاض ، وسوف تتآكل القوات الأمريكية مع الوقت ومن يدرى ؟! .

***

حقائق تكشفت ومفاجآت لنا ولغيرنا حدثت مع الغزو الأمريكى لأفغانستان ، فقد اكتشفنا مثلاً أن ما كان يروج له الإعلام الغربى من أن حركة طالبان قد ألغت الإذاعة أو أنها تحرم تعليم البنات ما هو إلا كذب صريح ، ذلك أن الأخبار القادمة من أفغانستان عن طريق الإعلام الغربى ذاته تقول إن الطائرات الأمريكية قد ضربت الإذاعة الأفغانية بالقنابل وأوقفتها عن البث ، إلى حين قام المهندسون الأفغان بإصلاحها ، فكيف تم إلغاء الإذاعة على يد حركة طالبان ، وهى ذاتها تم استهدافها بالضرب ؟!! .

وكذلك نقلت إذاعة الـ B. B. C البريطانية فى قسميها العربى والإنجليزى ، وعلى شبكة الإنترنت أن صحفية إنجليزية قد زارت مدرسة لتعليم البنات فى شمال كابول ، وأن تلك المدرسة استمرت تعمل رغم القصف الأمريكى ، ورغم أن جدرانها كانت مثقوبة بفعل طلقات المدفعية التابعة للتحالف الشمالى للمعارضة ، بل نقلت تلك الصحفية صورة عن مدى التقدم العلمى ، والأدبى لبنات المدرسة ، وأن بنات المدرسة كن على مستوى عال من الوعى السياسى ، وإدراك أبعاد الأزمة بين حكومة طالبان والحكومة الأمريكية وأحداث ١١ سبتمبر وغيرها من القضايا المطروحة ، فكيف يتفق هذا مع ما روجته دوائر الإعلام الغربى من أن حركة طالبان ترفض تعليم البنات ؟! .

وعلمنا فى إطار هذا الصراع أن كل من الملا عمر رئيس حركة طالبان وأسامة ابن لادن ، وعدد آخر من قيادات طالبان ، وقيادات تنظيم القاعدة يجيدون استخدام وسائل الإعلام بما فيها شبكات التليفزيون ، فكيف يتفق ذلك مع ما روجته وسائل الإعلام الغربى عن تحريم هؤلاء للتليفزيون مثلاً ؟! . ربما يكون هؤلاء يحرمون الإسفاف فى التليفزيون وغير التليفزيون ، وهذا شىء وتحريم

التليفزيون كأداة لنقل الطيب والخبيث ، فالطيب مقبول والخبيث مرفوض وليس الأداة نفسها « التليفزيون » هو المحرم عندهم .

تواترت الأنباء أيضاً عن أن الحكومة الامريكية طلبت من شبكات التليفزيون والصحف ووسائل الإعلام المختلفة فرض نوع من الرقابة على نفسها وعدم بث وجهة نظر أسامة بن لادن أو قيادات طالبان ، حتى لا يتأثر الرأى العام بهم ، وهذا كلام يتنافى تماماً مع حرية الرأى والإعلام الغربى والامريكى المزعومة ، لأن بث ما يتفق مع وجهة نظر طرف واحد هو نقيض الحرية تماماً . بل وأكثر من ذلك ضغطت الحكومة الامريكية على حكومة قطر لكى توقف قناة الجزيرة القطرية أو تمنعها من نقل ما يحدث فى أفغانستان أو بث أحاديث أسامة بن لادن أو الملا عمر ، واتهمت واشنطن قناة الجزيرة بأنها تروج للأفكار المعادية لامريكا . . فهل هذه هى الحرية التى تفهمها أمريكا والغرب .

أضف إلى ذلك أن الحكومة الامريكية قامت بشراء واحتكار كل الصور التى تلتقطها الاقمار الصناعية التجارية من أفغانستان ، وذلك لكى تتحكم فيما ينقل أو لا ينقل من صور الضحايا أو الحياة فى افغانستان فى ظل الغزو الامريكى ، فهل احتكار المادة الإعلامية يتفق مع حرية تداول المعلومات والصور وحرية الصحافة والإعلام عموماً .

***

إذا سلمنا جدلاً بأن أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة ، وطالبان التى تأويه كلهم مسئولون عن أعمال الإرهاب ، وإذا سلمنا جدلاً بأن أمريكا - وهى لم تفعل - قدمت إلى محكمة دولية محايدة - الأدلة على ذلك ومن ثم صدر حكم من قضاة محايدين بإدانة هؤلاء ، وحتى إذا سلمنا جدلاً أن الولايات المتحدة الامريكية هى شرطى العالم ، وأنها تطارد شارون ، وبن اليعازر ، بل وتطارد الرئيس الأمريكى الأسبق بيل كلينتون بتهمة ضرب مصنع دواء مدنى فى السودان - بعد أن اعترفت الدوائر الامريكية بأن لا صلة لهذا المصنع بالإرهاب أو أسامة بن لادن ، وطاردت من أسقط الطائرة المدنية الإيرانية فوق مياه الخليج عام ١٩٨٨ م ، وقبلها الطائرة المدنية المصرية المدنية عام ١٩٧٢ م « طائرة مصر للطيران التى ماتت بها المذيعة المصرية المعروفة سلوى حجازى » وطاردت من ارتكب المذابح الاستعمارية فى آسيا وافريقيا ومن ارتكب جرائم الإبادة للهنود الحمر وسكان إستراليا الأصليين ، ومن ارتكب جرائم التفرقة العنصرية بل والاسترقاق العنصرى .. إلخ .

إذا سلمنا جدلاً بأن كل هذا حدث ، فإن التحرك الامريكى للقبض على أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة وقادة طالبان قد يكون مبرراً ، وبديهى أن معاقبة هؤلاء لا يستدعى معاقبة الشعب الأفغانى ، الفقير الجائع الضعيف ، ولأن أمريكا ومن يروج لها يزعمون أنها تمتلك أحدث المعلومات وأدقها ، وأن طائرات التجسس والأقمار الصناعية تستطيع بدقة أن تحدد ما يقوله الرجل لزوجته على فراش الزوجية ، وتستطيع أن تصور بدقة ما يحدث على مساحة ١٠ سم٢ ، بل وتحديد نوع وشكل وحجم الحشرات فى تلك المساحة ، ولأنها تمتلك الصواريخ الذكية والقنابل التى لا تخطئ الهدف والموجهة بالليزر .. إلخ .. فإن من العبث أن نقول إن الضربات الأمريكية التى أصابت المدنيين

كانت نوعاً من الخطأ الفنى ، اللهم إلا إذا كانت أمريكا تكذب وتدعى فى نفسها وقوتها واستخباراتها واستطلاعاتها ما ليس فيها .

وهكذا فإن جريمة ضرب المدنيين فى أفغانستان جريمة غير مبررة فى كل الأحوال وتستدعى محاكمة مرتكبيها ، وتعويض الضحايا .

ومن المعروف حتى الآن ، أن أمريكا ضربت قوات تابعة للأمم المتحدة ، أو هيئات الإغاثة الدولية فى أفغانستان ، وضربت مستشفيات ، وقصفت دور المسنين ، وهدمت بيوت وأحياء وقرى كاملة ليس بها أى شبهة عسكرية ، بل واعترفت بذلك كله مدعية أنه من قبيل الأخطاء الفنية .

وفى الحقيقة فإن قناة الجزيرة ، والبريد الإليكترونى وغيرها من وسائل الإعلام حافلة بصور ومعلومات عن مذابح الامريكان للافغان ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فإن قرية «كورام» التى تبعد ٤٠ كيلو متر عن مدينة جلال آباد والتى كانت تضم من ٢٥ : ٣٠ كوخاً أو بيتاً ، نام أهلها مطمئنين ذات مساء من أكتوبر ٢٠٠١ م ، لتفاجئهم الطائرات الامريكية من طراز الشبح والتنين السحرى وتلقى عليهم أطناناً من القنابل ذات الالف رطل والخمسة آلاف رطل أيضاً ، فتهدم جميع البيوت ، وتقتل جميع السكان أو تجرحهم «٢٠١ قتيل ، ١٧ جريح» بل وتقتل الاغنام والابقار «حوالى ١٠٠٠ رأس غنم وماشية» ، ولم ينج من المذبحة إلا هؤلاء الذين كانوا خارج القرية «حوالى ٣٠ فرداً» .

ويحكى أحد أبناء القرية الذى كان موجوداً خارجها ساعة القصف ، ويدعى تورخان أنه عاد ليجد حظيرة ماشيته يتصاعد منها الدخان ورائحة اللحم المشوى ، فقد احترقت الابقار ، وليجد بيته مهدماً ، وقد دفن تحت أنقاضه أولاده الستة وزوجته . يقول تورخان : «أمريكا تريد قتل شعبنا وتركيعه ، إنها لا تبحث عن طالبان أو القاعدة .

من نفس القرية عاد عبد الكريم الذى كان خارج القرية لشراء احتياجات الأسرة ساعة القصف ، عاد ليجد بقايا أطفاله الخمسة وزوجته وبقايا الصاروخ الذى مزق أجسادهم .

وكما يقول الصحفى محمد طعيمة فى جريدة العربى الاسبوعية المصرية فإن كورام نموذج لثلاث عشرة قرية جبلية يسكنها رعاة يعيشون على الرعى وبيع الأحطاب التى تجمعها نساؤهم ، لا يعرفون اسم بوش أو بلير أو ابن لادن، ولكن قراهم تحولت إلى خرائب ، واحترقت جثث زوجاتهم وأولادهم بل ومواشيهم .

وهكذا تختلط دماء وعظام الابناء والزوجات ، والرجال ، بعظام ودماء ولحوم المواشى المحترقة ، وركام المنازل وبقايا الصواريخ وقيم المدنية الأمريكية والأوروبية .

وما حدث فى تلك القرى ، حدث فى الأحياء بالمدن ، ومات المدنيون بالمئات وجرح الآلاف .. والبقية تاتى ، ولا جديد فى الأمر حين تجد أن بقايا الاقدام والرؤوس ، أو بقايا أسرة كاملة أب وأم وأطفال ، أو بقايا عروسان على سرير جريدى ، كانا لتوهما قد تزوجا .. وشكراً للحضارة الأمريكية .

***

سقوط طالبان
ومرحلة جديدة من الصراع

السقوط السريع لعدد من المدن الافغانية بدءاً من مزار الشريف ذات الموقع الاستراتيجي ثم حيرات وكابول وقندهار وغيرها من المدن الافغانية بيد قوات التحالف الشمالي المعارض ، يفتح ولا شك مرحلة جديدة من الصراع في أفغانستان وتغير المعادلات الإقليمية والدولية .

وبداية فإن صمود حركة طالبان منذ يوم ٧ أكتوبر ٢٠٠١ م حتى ١٣ نوفمبر ٢٠٠١ م أي ٣٧ يوماً كاملة وما يزيد على خمسة أسابيع ، ونقصد صمودها منذ بدأت الحرب يوم ٧ أكتوبر حتى سقوط كابول وعدد من المدن والمناطق الأفغانية الاخرى يوم ١٣ نوفمبر ، هذا الصمود لم يكن متوقعاً أصلاً ، نظراً لكثافة الضربات بالصواريخ وقنابل الـ ١٥ ألف رطل ، والقنابل العنقودية، والغارات ليل نهار على المدن والمرافق وكل شيء تقريباً ، وهذا الصمود غير المتوقع لطالبان طوال تلك المدة فتح الباب للتفاؤل بإمكانية استمرار هذا الصمود طويلاً ، ولكن الذى حدث ان طالبان انسحبت من المدن في غضون ساعات أو أيام قليلة ، مما أربك الكثير من الخطط على الناحيتين وعلى أكثر من مستوى فالذين راهنوا على صمود طالبان أو كان لديهم الأمل في ذلك أصيبوا بإحباط شديد ، وهذا بالطبع سيؤثر على حجم المعارضة الشعبية للمخطط الامريكي في أفغانستان بل وفي العالم كله ، وهو لا شك أمر سلبي ، وكذلك فإن هناك قوى ودول راهنت على استمرار صمود طالبان أكثر من ذلك حتى يتأخر دورها في الأجندة الامريكية التي تستهدفها بعد الخلاص من الموضوع الأفغاني ، وحتى لو كانت هذه القوى والدول معادية لطالبان أصلاً ، فإنها كانت تود صمودها فترة أطول لإشعار أمريكا ان المسألة ليست سهلة ، وحتى لا تنفتح شهية الامريكان لمزيد من العمليات العسكرية ضد القوى المستهدفة

مثل حزب الله وحماس والجهاد وبالتالى لبنان وسوريا وإيران ، وأيضاً العراق والصومال والسودان واليمن .. إلخ .

ولا شك أن هذا السقوط المفاجئ لدفاعات طالبان والذى يعد فى جزء منه نجاحاً للحملة الامريكية سوف يجعل كثيراً من هذه الدول تعيد ترتيب أوراقها وكذا خطابها ، وربما تصرفاتها بصورة كبيرة ، وهذا بالطبع سيأتى على حساب القوى المكافحة ضد إسرائيل مسلحة وغير مسلحة وعلى مجمل خطاب المجتمعات العربية ونعنى الحكومة والجماهير والقوى الرسمية وغير الرسمية .

سقوط دفاعات طالبان بهذه الصورة أربك أيضاً الطرف الآخر ، أربك باكستان التى أصبحت هى الخاسر الاكبر من دخول التحالف الشمالى المعادى لها إلى كابول ، وهو المتحالف فى قطاع كبير منه مع الهند عدوة باكستان التقليدية وهكذا فإن أوراق باكستان تآكلت بسرعة .

الإنجاز الذى حققته قوات التحالف الشمالى ، وسقوط دفاعات طالبان يعنى أن زمن الاستحقاقات قد أتى ، فحاجة الولايات المتحدة الامريكية لباكستان وروسيا والصين وطاجيكستان وأوزبكستان وإيران قد قل كثيراً ، وأن على هذه الدول أن تستعد لصراع أو على الاقل تنافس أو تجاهل تجاه الولايات المتحدة الأمريكية ، وعليها أيضاً أن تأخذ فى اعتبارها أن قوة جديدة هى القوات الأمريكية التى نزلت لأول مرة بصورة واسعة إلى أراضى أفغانستان وأقامت أكثر من قاعدة بعد أن اطمأنت إلى عدم مواجهة قتال حقيقى من طالبان أو غيرها وهذا يعنى أن لاعباً جديداً وقوياً قد أصبح موجوداً يريد التهام الجزء الاكبر من الكعكة إن لم يكن الكعكة كلها .

وهكذا فإن سقوط كابول ليس إلا فصلاً جديداً من الصراع سيأخذ أشكالاً أخرى ، ويمكننا أن نرى سيناريوهات كثيرة منها تقسيم أفغانستان ، أو تركها

فى حالة فوضى ، أو وضعها تحت وصاية قوات دولية وحكومة متنوعة تشرف عليها الامم المتحدة وكل هذا لن يزيد الطين إلا بلة ، لان العلم الامريكى سيتغير إلى علم الامم المتحدة ، ولكن جوهر السيطرة والنفوذ الامريكى سيظل كما هو ، لان قوات التحالف الشمالى او قادة الفصائل المعارضة أو حكومة موسعة ، أو حالة فوضى أو تقسيم ، كل هذا لم يتم ، والجميع يعرف ذلك إلا بواسطة الضرب الأمريكى ، ولو رفعت امريكا يدها قليلاً فإن الامور لن تظل كما هى .

منذ هذه اللحظة فإن على الجميع أن يسترضى أمريكا ، بعد أن كانت أمريكا تسترضى الجميع ، وهكذا فإن سقوط دفاعات طالبان ، أحرق كل أوراق المساومات لدى الاعداء والاصدقاء على حد سواء ، وهو ما جعل الكثيرين فى مختلف العواصم الإقليمية والدولية لا يرحب بدخول قوات المعارضة لكابول .

***

الصورة السابقة هى صورة ما يبدو فوق السطح ، ولكن ربما يكون من المفيد تأمل التفاصيل ، فقوات التحالف الشمالى لم تحقق هذا الإنجاز بفضل شجاعتها أو كفاءتها فهى لم تدخل فى معارك أصلاً ، بل انسحبت قوات طالبان أصلاً ولم تقاتل بجدية ، وكان الفضل فى ذلك شدة الضربات العسكرية الأمريكية ، أى أن قوات التحالف لم تفعل سوى حصاد الزرع ولكنها عندما كانت فى مواجهة مع طالبان بدون الدعم الأمريكى المباشر كانت مهزومة وكانت طالبان تسيطر على ٩٠٪ من الأرض ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الإنجاز الذى حققته قوات تحالف الشمال ليس انجازاً عسكرياً ولا سياسياً ، بل سينظر إليه الشعب الافغانى على أنه خيانة ، وأن الحكومة الجديدة أياً كان شكلها هى حكومة صنعتها القوى الأجنبية وهذا يذكرنا بحكومة بابراك كارمل الذى جاء على يد القوات السوفيتية ، وقد سيطر

ساعتها بفضل تلك القوات على كل افغانستان ، ولكن هذا لم يؤدى إلى استقرار الوضع ، بل ظلت المقاومة تمارس دورها ، وتآكلت السيطرة السوفيتية ومن ثم سيطرة الحكومات التابعة لها بدءاً من كارمل وانتهاء بنجيب الله على مر الايام والشهور والسنوات .

ما يمكن توقعه من خلال التدقيق فى تفاصيل الصورة ، هو أن قوات طالبان لم تدخل فى معارك جدية ، ولم يسقط أسراها بالآلاف أو نرى مواقعها محطمة ، وهذا يعنى أنها قررت الانسحاب ، لأنها لم تعد قادرة على الاستمرار تحت الضرب ، ولم تعد قادرة على ضبط الأمور وإدارة عجلة الحياة اليومية للمواطنين ، ففضلت أن تنقل هذه الأعباء للمعارضة ، وتتخلص بالتالى من مسئوليات صعبة ثم تحافظ على قواتها وتلجأ إلى الجبال وتبدأ حرب عصابات طويلة الأمد ، وهذا يعنى أنها قررت إطالة أمد الحرب والاحتفاظ بقواتها ما أمكن وعدم دخول معارك خاسرة مع قوة عظمى مدججة بالسلاح فى المدن والأماكن المكشوفة ، وبالتالى إعادة السيناريو السوفيتى ولكن الامر ليس بهذه البساطة ، فالدعم الدولى والإقليمى للمقاومة الأفغانية ضد السوفيت كان لها دورها فى استمرار المقاومة ، وهذا غير موجود الآن ، ومن الصعب أيضاً التكهن بعدم انهيار طالبان من الداخل لأسباب كثيرة ، ولكن فى كل الأحوال فإن انهيارها سيؤدى إلى ظهور زعامات أخرى وقوى أخرى تقود حركة المقاومة، لأن شعباً ما وخاصة الشعب الأفغانى وعلى الأخص قبائل الباشتون لن تقبل بإقامة حكومات بأيدى الأجانب أيا كان شكلها ، وهذا يجعل المسألة طويلة ومعقدة ، ومن يدرى إلى أين ستقود تلك المعادلات الجديدة المنطقة والعالم فى السنوات القادمة ، والطبيعى أن قتل الملا عمر وابن لادن وتفكيك طالبان والقاعدة لن يكون نهاية المطاف فالأفكار لا تموت وتراث المقاومة مستمر تحت السطح ، خاصة مع استمرار حالة الظلم فى العالم وفى المنطقة .

***

مستقبل الصراع مع أمريكا
بعد نجاحاتها فى أفغانستان

النجاحات التى حققتها القوات الأمريكية فى أفغانستان ، والتى أعطت أمريكا الكثير من الغطرسة والنفوذ فى العالم ، هذه النجاحات وشكل الصراع فى أفغانستان فى المستقبل القريب والبعيد ، وكذا فى منطقة وسط آسيا ثم أثر ذلك كله وتداعياته على المنطقة العربية والقضية الفلسطينية هذا كله ينبغى أن يكون محور اهتمام خاص للمحللين العرب تحديداً ، حتى نعرف ماذا يراد بنا وماذا سيكون مصيرنا ، وما هو الموقف الصحيح تجاه ذلك بداية فإن النجاح الأمريكى فى أفغانستان ، هو من نوع النصر الرخيص الجبان فالمواجهة غير متكافئة أصلاً ، والأمريكان استخدموا التحالف الشمالى لتحقيق أهدافهم ، ولكن علينا أن ندرك أيضاً أن فى كل بلد تحالف شمالى مماثل ، ولو لم يكن هذا التحالف موجوداً ، لأوجده الأمريكيون بالأموال والرشاوى ، وفى المحصلة فإن هذا النصر الأمريكى لا يعبر عن شجاعة أو ذكاء ولكنه أيضاً نوع من النجاح فى النهاية ومن البديهى أن أمريكا لا يهمها أن نصفها بالفروسية مثلاً ، وكذلك علينا أن نتأمل فى هذا الكم الهائل من اللامبالاة بحقوق الإنسان ، وضرب الأعراف الدولية عرض الحائط متمثلاً فى التمثيل بجثث القتلى ، أو قتل الأسرى ، فى أكثر من مكان وحديث وزير الدفاع الأمريكى المباشر عن عدم رغبته فى استلام أسرى ودعوته إلى قتلهم مباشرة ، وهو أمر ينسف مصداقية القيم الغربية كلها – المزعومة وغير المزعومة – وعلى الجانب الآخر ، فإن رواية طالبان تقول أن الحرب لم تنته بعد ، وأن خطة الانسحاب من المدن كانت معدة سلفاً ، وأن هذا سوف يسفر فى المستقبل القريب عن حرب عصابات واسعة ، بدأ يظهر جزء منها كما قال أيمن الظواهرى فى حديثه لمجلة المجلة اللندنية مؤخراً .

وأياً كان الامر ، فإن ما فعلته طالبـان والقاعدة هو من نـوع الشهادة على التاريخ ، مثل الحسين بن على فى خروجه على الأمويين تماماً ، فرغم عدم تكافؤ القوى ، فإن اللحظة كانت تقتضى نوعاً من المواجهة لإعلان البراءة وتحديد الحق من الباطل ، ولولا ذلك لتكرس الباطل نظرياً بعد تكريسه عملياً ، بمعنى تحويل الباطل إلى حق ، وضياع الحق والمصداقية إلى الأبد .

وسواء قتل ابن لادن أو أسر ، أو لم يعلم له أحد مكان ، وكذلك الملا عمر وزعماء القاعدة - والمسألة مسألة وقت فى نظرى فلن يهـربوا إلى الأبد - فإن هؤلاء قد أدوا ما عليهم من واجب ، وأنهم سيتحولون إلى رموز ، وربما كان قتل بن لادن تحديداً مفجراً لتيار من الوعى والثورة فى العالم ، فالأفكار والمبـادئ مثل تماثيل الشمع ، تدب فيها الحيـاة بالاستشهاد .

***

من حق عناصر القاعدة علينا أن نشهد لهم بالشجاعة فى المواجهة رغم ضعف الإمكانيات ومن حق طالبان علينا أن نشهد أنها حققت وحدة أفغانستان خمسة أعوام متتالية ، وأنها حققت الأمن ، وأنه برحيلها رحل الأمن وانتهت الوحدة وسوف يدب الخلاف بين عناصر التحالف الأمريكى « الشمالى وغير الشمالى » ، ويكفى طالبان أنها كانت أول حركة تحرر وطنى فى العالم لا يفسد رجالها ولا ينهبون أموال البلاد كما حدث فى كل الثورات التى وصلت إلى الحكم هنا أو هناك ويكفيها أيضاً أنها تصرفت بإحساس عال من المسئولية عن الناس فى أفغانستان فقد انسحبت من المدن لتجنيب الناس المزيد من الضربات الأمريكية ، وأيا كان مصير تلك الحركة فقد دخلت التاريخ من باب نظافة اليد والوفاء والإحساس بالمسئولية عن الجماهير ، ورفض المساومة على مبادئها .

على كل حال فإن النجاح الأمريكى فى أفغانستان أغرى أمريكا وإسرائيل بالمزيد وفتح شهيتها لالتهام كل من يقول .. لا ، وأصبح الحديث الآن جهراً

عن ضرب سوريا وإيران والعراق والسودان والصومال ولبنان ، وحزب الله وحماس والجهاد ، وهذا أمر خطير جداً على الواقع العربى ، خصوصاً أن الحكومات ضعيفة وعاجزة ، بل إن البعض سوف يسارع إلى ضرب جزء من أبنائه وتمزيق نسيجه الحى لإرضاء أمريكا .

ومن تداعيات هذا النجاح إمكانيات ظهور حلف أمريكى روسى هندى فى وسط آسيا ، وأمريكا وضعت قواتها بالفعل وبنت قواعدها فى طاجيكستان وأفغانستان ، والهند خلعت قبعة الساحر ولبست القبعة الأمريكية وتشددت مع باكستان وضغطت فى قضية كشمير ، وباكستان بين شقى رحى ، وهى الخاسر الأكبر - كعموم المسلمين - من الموضوع الأفغانى ، والمسلمون فى كل مكان فى العالم أصبحوا فى موضع اتهام ، وتداعت الأمم عليهم كما تتداعى الأكله إلى قصعتها .

ولكن لله تعالى تدابيره ... وليس لها من دون الله كاشفة ، والله تعالى لا يسمح بهذا الخلل فى الكون : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [1] ، ولا أحد يدفع أمريكا الآن ، فهل تفسد الأرض أم تتدخل عناية السماء .

***

(١) سورة البقرة : الآية (٢٥١) .

انفتحت شهية الغول الامريكى لاستعمار العالم كل العالم والحجة الجاهزة أو الذريعة التى لم تعد تنطلى على أحد محاربة الإرهاب ولكن المطلوب تسوية كل النتوءات والحكومات والدول والجماعات المناوئة أو المعارضة أو حتى غير المتعاونة مع أمريكا بعد أفغانستان والحديث عن نشر القوات الامريكية لمدة طويلة هناك فى طاجيكستان وفى أفغانستان ثم فى القرن الافريقى عن طريق الصومال وقبل ذلك أو بدعه أو فى نفس التوقيت يدور الحديث عن تأديب العراق أو تمزيقه وتقسيمه واستخدام عناصر عراقية على غرار تحالف الشمال وفى كل بلد يوجد من هو مستعد لبيع نفسه للاعداء والزعم بأنه بذلك يقضى على الإرهاب أو الديكتاتورية أو يحلم ببناء بلد معاصر متحضر تحت الاحذية الامريكية الثقيلة .

الصقور فى الإدارة الامريكية واللوبى الصهيونى وأعداء الانسانية عموماً يفبركون بحماس الادلة والآلة الإعلامية تعمل لتهيئة الرأى العام الامريكى لضرب العراق . .

جورج بوش الابن ومعه نائبه ديك تشينى يريد أن يظل العالم يلهث وأن تظل القوة الامريكية تستعرض نفسها حتى لا يفكر أحد فى المعارضة يوماً للمخططات الامريكية والاصح أنها المخططات الرأسمالية العسكرية – عسكرة العولمة – وإعادة الاستعمار القديم ، جورج بوش الابن يريد أن يكرر سيناريو الاب ولكن الظروف مختلفة ربما لا ينسى جورج بوش الابن أن العراقيين حالوا اغتيال جورج بوش الأب بسيارة مفخخة فى الكويت عام ١٩٩٣ م بعد أن فقد الاب منصب الرئاسة وجاء إلى الكويت ليحتفل بما يسمى عيد تحرير الكويت من أبناء العم أو الاشقاء وهكذا ضرب الكويتيون يومها المثل فى القبول بالعمل رعاة خنازير تحت حذاء الامريكيين بدلاً من أن يعملوا رعاة أغنام أو أبقار تحت

حكم العراقيين وبالطبع لا يصح تفسير السلوك الامريكى فقط بمسالة ثار الابن لوالده فالمسألة أكثر تعقيداً .

الانقسام الامريكى حول توجيه ضربة للعراق أو إسقاط الحكومة لن يستمر بالطبع طويلاً ، فكل من الرئيس بوش ونائبه ديك تشينى ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد ونائبه بول ولفويتز يؤيدون الضربة وفى المقابل فإن وزير الخارجية كولن باول ونائبه ريتشارد ان ميتاج وجورج تينت مدير المخابرات المركزية الأمريكية يتحفظون على هذه الخطة ولكن صوت العقل يضيع عادة أمام مصالح التحالف الرأسمالى العسكرى الحاكم الحقيقى لامريكا والمطلوب فقط تهيئة الجو الدولى ، إقناع روسيا ذات المصالح الواسعة مع العراق وإقناع تركيا وغيرها من دول الجوار ، وإقناع الدول العربية المعتدلة بهذا الامر ، ثم تهيئة الرأى العام الامريكى والعالمى لتلك الخطة اللوبى الصهيونى والمتحالفون وممثول الرأسمالية والعسكر فى الإدارة الأمريكية وفى الكونجرس ، يضغطون بشدة لضرب العراق ، والميديا الإعلامية تنشر صور الرئيس العراقى بجوار صور أسامة بن لادن ، والسيد باتلر رئيس مفتشى الامم المتحدة المشهور والذى انكشف أنه عميل للموساد والمخابرات الامريكية معاً ظهر على السطح مرة أخرى ، ليقول ان العراق يملك أسلحة خطيرة ، جرثومية وكيميائية ، وأنه هو الذى زود من قام بالحرب الجرثومية ، بجرثومة الانتراكس – رغم أنه ثبت أن الجرثومة متشابهة مع ما كان ينتج داخل المعامل العسكرية الأمريكية ذاتها وهذا لا يهم المهم هو « الزن » على أذن الرأى العام الامريكى ، وكذلك قال باتلر ان العراق كان على علاقة بتنظيم القاعدة فى السودان وان محمد عطا اجتمع مع مسئولين عراقيين فى جمهورية التشيك بعد ذلك ، وقد ثبت ان هذا أيضاً غير صحيح ولكن من يسمع ؟! فقد كذبت جمهورية التشيك نفسها ذلك ، وما يقوله باتلر يقول غيره فى الإعلام الامريكى بكثرة وتكرار حتى الملل هذه الأيام، والنتيجة ان استطلاعات الرأى العام الامريكى –

الصحيحة أو الملفقة – تقول أن ٦٦٪ من الشعب الأمريكى يؤيد العمل على إسقاط النظام العراقى .

صعوبة تنفيذ المخطط ضد العراق ، حسب الرؤية الأمريكية التى يطرحها باول ، أن العملية تحتاج إلى ١٨٠ ألف جندى أمريكى يقاتلون داخل العراق ، وأن احتمالات فقد ٥٠٪ من هذه القوات أمر وارد ، وأن العراق يمتلك قدرات عسكرية أكبر كثيراً من تنظيم القاعدة وحكومة طالبان التى أطاح بها الغزو الأمريكى لأفغانستان وأن على القوات الأمريكية أن تتعامل مع قوات مدربة تدريباً عالياً متمثلة فى الحرس الجمهورى والقوات الخاصة التى يشرف عليها قصى نجل الرئيس العراقى وهى تضم ٢٠٠ ألف جندى بالإضافة إلى جيش القدس والجيش الشعبى « ٤ ملايين مقاتل » وأن العراق لابد أنه أخذ فى اعتبار الاحتياط للقصف الجوى وإخفاء أسلحته ومعداته حتى لا تطالها قنابل الطائرات والصواريخ عن بعد ، وإلا فإن كل خبرات السنين السابقة والأحداث تكون قد أهدرت وأن المعارضة العراقية لا تملك جنوداً وعناصر ونفوذاً على الأرض يمكن مقارنتها بالتحالف الشمالى فى أفغانستان أضف إلى ذلك فإن الرفض العربى سيكون هذه المرة مختلفاً فليس هناك كويت محتلة والعراق غير أفغانستان فى الوجدان العربى واقتراب الغول الأمريكى من سوريا ولبنان سيثير الاعتراض وقد عبر السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية بقوله أن توجيه ضربة لأى بلد عربى معناه نهاية التحالف ضد الإرهاب وكذلك فإن مصر مثلاً لديها ميزانية تصديرية إلى العراق فى سنة ٢٠٠١ م مثلاً بحوالى ١٨٠٠ مليون دولار وهى لا تريد أن تخسرها وأكثر وزيارة المسئولين الاقتصاديين المصريين ورجال الأعمال إلى بغداد على قدم وساق ، ومصر لا تريد أن تخسر ذلك ، وبديهى أنها وسوريا مثلاً لن يقدمان جنوداً كما حدث عام ١٩٩١ م ، وهكذا فإن الأمر مختلف ، ولابد من الاعتماد على قوات أمريكية مباشرة ، وهذا يحتاج إلى أرض للانطلاق منها ، كل هذه الاعتراضات

والمتغيرات ، لا يعيرها صقور واشنطن المتربصين بالعراق اذنا ، فالكاتب الامريكى «بايبس» رد بلسان الصقور قائلاً : «لا يهم» ، لا يهم أن نخسر أصدقاؤنا فى المنطقة ، ولا يهم دعمهم ، بل يهم كسب الحرب ضد الإرهاب لا كسب أصدقاء ، والتحالف الدولى والمساعدة العربية مسألة شكلية لا أكثر ولا أقل ، الحصول على أرض ينطلق منها الهجوم سهل ، فتركيا جاهزة ، وهى تكفى جداً ، وعلى حد تعبير جيمس وولس مدير المخابرات الامريكية السابق وهو من الداعين بقوة إلى ضرب العراق «فإن الطائرات الامريكية يمكن أن تنطلق من الاراضى التركية ، شمالاً على أن تساندها الطائرات المنطلقة من الجنوب من فوق حاملات الطائرات الامريكية فى مياه الخليج ، وهكذا أخذت زيارة بولنت اجاويد رئيس الوزراء التركى منتصف يناير ٢٠٠١ م أهمية خاصة، والاتراك كما يبدو جاهزون لتقديم هذه الخدمة ، فوزير الدفاع التركى «صباح الدين شكماكو غلو» قال أن حكومته مستعدة لمساعدة واشنطن فى خططها المقررة ، وكذا تصريحات رئيس الوزراء التركى بولنت اجاويد بأنه من الوفاء لامريكا أن نساعدها ، فلطالما ساعدت تركيا فى حربها ضد الإرهاب «بقصد مساعدتها فى حربها ضد حزب العمال الكردستانى ودورها فى القبض على زعيمه عبد الله اوجلان» الخطة – إذن تدخل مراحلها النهائية ، وعلى حسب تصريحات مسئول أمريكى رفيع المستوى لمجلة النيوزويك الصادرة فى أوائل يناير ٢٠٠٢ م فإن المطروح الآن ليس إذا كانت الولايات المتحدة ستضرب العراق أم لا ، بل السؤال هو متى؟!

السيد عمرو موسى ، من جهته أحس بخطورة المسألة حيث صرح بأن توجيه ضربة لأى بلد عربى معناه نهاية التحالف الدولى ضد الإرهاب ، ولكن الحكومات العربية غائبة ، رغم تهديد ذلك لمصالحها ، والشعوب العربية مكبلة وأمريكا لم يعد يهمها أحد .

في هذا الإطار تأتى خطورة تحركات ما يسمى بالمعارضة العراقية التى أصبحت فى معظمها عملية مباشرة للأمريكان ، وكان ما يسمى جماعة المؤتمر الوطنى العراقى قد قدمت خطة حرب معدلة لا تدعو فقط إلى قصف أمريكى جوى للعراق ، بل ونشر قوات أمريكية فى شمال وجنوب العراق ، وكان فرانسيس بروك قد تصور أنه من الممكن الإحاطة بالحكومة العراقية عن طريق تدريب فرقة من خمسة آلاف من المنشقين العراقيين يدعمهم مرتزقة ، مع تحديد منطقة حظر برى يمنع فيها تحرك القوات الحكومية العراقية البرية والمشاة والمدرعات ، وأن تدخل هذه القوة إلى جنوب العراق – حيث معظم النفط العراقى – ربما فى قاعدة جوية مهجورة غرب البصرة مثلاً وتبقى هناك وعلى حد قوله «إذا استولت القوات المتمردة على البصرة فعندها تكون النهاية فإنك لا تحتاج الذهاب إلى بغداد أوقف عنه النفط فسينهارا» .

وهكذا فإن ضرب العراق – ربما بات مسألة وقت ، ولكن المؤكد أن من الضرورى تحرك الدول العربية بسرعة ، كى لا نقول يوماً : أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

***



الأهداف الحقيقية للعدوان الأمريكى
على الصومال

كما كان للعدوان الامريكى على أفغانستان أهدافاً معلنة – هى القضاء على الإرهاب ، وأهداف أخرى حقيقية غير معلنة اتخذت من موضوع الإرهاب وأحداث ١١ سبتمبر ذريعة مناسبة وقوية ... فإن العدوان الأمريكى المتوقع على الصومال يحمل نفس السمت ، أى وجود أهداف معلنة وأخرى حقيقية ..

ومن الضرورى بالطبع البحث فى ثنايا العلاقات الدولية ، وأوضاع الجغرافيا السياسية ومناطق النفوذ فى العالم وأهداف الولايات المتحدة الأمريكية بعد انفرادها بالقوة فى العالم عقب سقوط المنظومة الاشتراكية وتفكك الاتحاد السوفيتى وتغير علاقات وتوازنات القوى فى العالم .

بداية فإن الأهداف المعلنة ثم نصف المعلنة ، ثم غير المعلنة تشكل إطاراً واحداً ، وهى ذات علاقة ببعضها البعض ، ولا يمكن علمياً ولا موضوعياً فصلها عن بعضها البعض ، اللهم إلا لدواعى البحث وتحديد ما فوق السطح ثم الجزء الغاطس من جبل الجليد .

الأهداف المعلنة كما روجتها وتروجها الأبواق الأمريكية ، هى قضاء على الإرهاب ، وإدعاء وجود معسكرات وعناصر تابعة لتنظيم القاعدة فى الصومال أو قوى ذات علاقة قوية بتنظيم القاعدة مثل الاتحاد الإسلامى الصومالى ، وأن الاتحاد الإسلامى يحتفظ بمعسكرات فى منطقة لوق على الحدود الصومالية الاثيوبية وجزيرة رأس كابمولف على الحدود الكينية الصومالية وأن تنظيم القاعدة يمتلك على الأقل معسكراً واحداً للتدريب فى منطقة « جيدو » الصومالية ، وأن هناك شبكة مالية تتولى مهام تمويل الإرهاب خصوصاً مؤسسة البركات الصومالية التى قامت الولايات المتحدة بتجميد أرصدتها ووقف نشاطها .

وهذه الإدعاءات الامريكية هى ذاتها تثبت أن هناك أهـدافاً غير معلنة فهـذه المعلومات مشكوك فى مصداقيتها تماماً لأنها جاءت من المخابرات الاثيوبية – العدو التاريخى للصومال – أو جاءت من عدد من الفصائل الصومالية المستبعدة أو المهزومة وبالتالى صاحبة المصلحة فى تكرار تجربة تحالف الشمال الافغانى والوصول على أسنة الرماح الامريكية إلى السلطة بالتالى ، ومما يؤكد فساد هذه الإدعاءات أن بعثة مراقبين من كبار موظفى الامم المتحدة قامت بجولة فى الصومال لتقييم الوضع الامنى والسياسى وزارت البعثة كل المناطق المزعوم وجود معسكرات بها « منطقة جيدو ، منطقة لوق ، جزيرة رأس كابمولف » وأكدت تلك البعثة عدم وجود معسكرات تدريب لاحد هناك ، وكذلك أكدت الحكومة الصومالية تهافت هذه الإدعاءات وناشدت الولايات المتحدة بعدم التورط فى معلومات يقدمها بعض المغرضين ومن ناحية ثانية فإن شبكة التمويل المزعومة ما هى إلا مجموعة أهلية مصرفية تقوم بتحويلات مدخرات الصوماليين المقيمين فى الولايات المتحدة الامريكية إلى ذويهم فى الصومال ، لأن انهيار الدولة وعدم وجود بنوك موثوق بها جعل من الضرورى نشأة مثل هذه المؤسسات لخدمة الصوماليين ، وكانت التحويلات عن طريق هذه المؤسسة وغيرها تتم بمئات الدولارات وليس الآلاف أو الملايين ، ولا شك أن تجميد نشاط مثل هذه المؤسسة الحيوية للصوماليين فى الخارج يكشف عن مدى الغطرسة الامريكية والنزق أيضاً ، وعدم الإحساس بمدى الضرر الذى أصاب الأهالى فى الصومال الذين كانوا يعيشون على مثل هذه التحويلات من أبنائهم فى الخارج .

أما الحديث عن الاتحاد الإسلامى ، فهو فصيل صومالى قد ضعف كثيراً ولم يعد هناك مبرر لملاحقته ، وفى كل الأحوال فإن الصوماليين ليسوا على أجندة الاتهام فى أحداث ١١ سبتمبر ، ولكن ربما يكون السبب هنا – نصف المعلن– هو الثأر لما حدث للأمريكيين فى الصومال عام ١٩٩٣ م ، ومادامت شهوة

الانتقـام قـد انطلقـت ، فلماذا لا يمارس الكاوبوى الأمريكى كل مـا يريد فى كل مكان ، وينزل العـقـاب بكل شـعب أو أمـة أو حـتى قـارة مـست شـعر أمريكى ذات يوم ، وهذا فى حـد ذاته يدخلنا فى الاسباب غير المعلنة ، وهى نشر نــوع من الخوف والرعب فى العالم من خلال ما حدث فى أفغانستان وما سـوف يحدث فى الصـومـال وغيـرها ، بحيث لا يجـرؤ أحد بعـدها على معـــارضـة أمـريكا أو أن يقـول لا ، وأن يقـوم الجـمـيع فـوراً بتنفيـذ الاوامـر والاحـــلام الامريكية وإلا تعرض للاهوال على طريقة «أحلام سيادتك أوامر يا أفندم» .

الاستعدادات الامريكية لضرب الصومال لم تعد تخطئها العين ، والمسألة مسألة وقت ، والضغط على الحكومة المؤقتة فى الصومال حقق نتائجه ولم تجد تلك الحكومة مفراً من الموافقة على نشـر القوات الامريكية والسـمـاح لتلك القوات بفعل ما تشاء على أرض الصومال ، والمعلومات عن الأهداف المفترضة تم جمعها عن طريق بعض الفصائل ، وعن طريق المخابرات الاثيوبية وعن طريق بعثة أمنيـة أمريكيـة - زارت الصـومال وجـمـعت مـا شاءت من المعلومات ، وحصلت الإدارة الامـريكيـة على التـسـهـيلات المطلوبة من جـمـهـورية أرض الصـومال لاسـتـخدام مـيناء ومطار مدينة بربرة لخدمة القـوات الامـريكيـة - والالمانية التى سوف تشارك - وكذلك تم الحصول على تسهيلات من الحكومة الاثيوبية ، والاخبار المتسربة تتحدث عن تجنيد عدد من الضباط السابقين فى الجيش الصومالى وبعض الفصائل «على غرار تحالف الشمال الأفغانى» ، وتعتزم كذلك إنشاء قاعدة عسكرية فى مدينة بيـداوة ، ولعل هذه القـاعدة تفـسـر الاسباب الحقيقية للعدوان على الصومال فالمسألة ببساطة شديدة ، أن الولايات المتحدة الامريكية قررت وراثة كل النفوذ الاستعمارى فى العالم وحدها ، ومن أراد فليعـمل من خـلالها «بريطانيـا ، المانيـا مـثلاً» ، بل قـررت إعادة شكل الاسـتعـمـار القـديم الذى ظننا يوماً أنه انتهى من العالم ، وذلك باحتلال بلاد

ومناطق ووضع قوات فيها و إقامة حكومة أمريكية بالكامل فيها طوعاً أو كرهاً، وبعد أن وضعت الولايات المتحدة الامريكية قواتها فى آسيا وقواعدها فى الخليج فإنها تستكمل الباقى بإقامة قواعد فى القرن الافريقى وفى أفريقيا عموماً ، والجميع بات يدرك ذلك فالراغبون فى العمل من خلال امريكا يؤيدون ضرب الصومال « بريطانيا – إيطاليا – ألمانيا » ، بل إن وزير الدفاع الألمانى رودولف شاربينج أشار إلى أن الصومال سوف تكون مستهدفة بشكل حتمى والخلاف هو على التوقيت ليس إلا ، أما فرنسا مثلاً والتى تتمتع ببقايا نفوذ استعمارى فى أفريقيا فهى تعارض العمل العسكرى الامريكى فى الصومال ، طالبة أدلة دامغة على وجود شبكة القاعدة هناك ، وأن يكون العمل من خلال الامم المتحدة ، فإذا صدر قرار بذلك على حد تصور فرنسا ، فإن من الأفضل دعوة الحكومة الصومالية لمطاردة وتصفية تلك العناصر فإذا نجحت كان لا داعى للحملة وإذا فشلت يمكن ساعتها التفكير فى حملة عسكرية ، وهذا بالطبع لا ترضاه الولايات المتحدة التى لا تستهدف لا القاعدة ولا الإرهاب ولكنها تستهدف نشر نفوذها الاستعمارى التقليدى القديم ، ويبدو أن عودة الاستعمار القديم من خلال الجيوش والحكومات العميلة هو الحقيقة الأولى التى صاحبت ظهور القرن الواحد والعشرين وسوف تشكل جزءاً هاماً من العلاقات الدولية فى بداية هذا القرن .

وأسفاً على الجهود والتحليلا والتحركات التى تحدثت عن عصر نهاية الاستعمار وعن تصفية الاستعمار وعن تلك الاحلام التى سادت العالم لنصف قرن كامل من القرن الماضى ، وتبخرت فى لحظات تحت اسم محاربة الإرهاب وكان الاستعمار القديم فى مرحلته الأولى – على أساس أن المرحلة الامريكية هى المرحلة الثانية – يزعم أنه جاء ليمدن ويطور الدول المستعمرة ، والامريكان جاءوا أيضاً للقضاء على الإرهاب والتعصب ونشر التمدن ... نفس المنطق – نفس الوجوه ..

الصومال بالطبع بالنسبة لنا ليست أفغانستان .. فالسيطرة الأمريكية وبالتالى الإسرائيلية عليها يعنى تهديد الأمن القومى العربى مباشرة ، أمن دول الشمال الأفريقى العربى ، أمن السودان ومصر تحديداً ، أمن البحر الأحمر - « البحر العربى » أمن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية برمتها ، خصرنا الجنوبى بالتحديد ، وهكذا فالمسألة شديدة الخطورة ، ومهما كانت حالتنا وضعفنا فيجب ان نتحرك لتقليل الخسارة على الأقل ، وقد تحرك من هم أقل منا شأناً واهتماماً ومن هم أكثر ، تحرك أصحاب المصالح فى أفريقيا من الدول الغربية ، ألمانيا تحركت وأرسلت جيوشاً وأساطيلاً ، وبحثت عن موضع أقدام بالتنسيق مع أمريكا وكذلك فعلت بريطانيا وإيطاليا ، تحركت فرنسا ، بل تحركت أيضاً أثيوبيا وكينيا ، وحاولت أن تحصلا على شيء من المكاسب بتسريب معلومات ملفقة ، والمساعدة فى المجهود العسكرى الأمريكى المتوقع وربط بعض المنظمات المعارضة أو القبلية بها بالاتحاد الإسلامى الصومالى ومن ثم بتنظيم القاعدة ، وهكذا تحصل على النفوذ فى الصومال وتكيد لحكومتها التى جاءت عن طريق توافق قبائلى تحت رعاية جيبوتى بعيداً عن كينيا والصومال ، وتحصل على دعم أمريكى لها لتصفية كل أنواع المعارضة فى أثيوبيا وكينيا وخاصة المرتبطة أو المعبرة عن الأعراق الإسلامية ، بل إن ما يسمى بمجلس المصالحة والإصلاح الصومالى سارع بالاتصال بالأمريكان وأعلن تأييده للحرب ضد الإرهاب والاستعداد لان يكون حكومة أمريكية فى الصومال على غرار الحكومة الأفغانية .

وفى كل هذا فإن مصر والعرب ودول الشمال الأفريقى ، والسعودية وغيرها من الدول العربية ذات الصلة المباشرة بالموضوع الصومالى وبالقرن الأفريقى لا تزال تتفرج من بعيد !! .

***



استنساخ العقل الإسلامى على الطريقة الأمريكية
أخطر من الحرب والضرب

إذا كانت آلة الحرب العسكرية الامريكية قد تحركت واستطاعت أن تدمر افغانستان ، ومن قبلها العراق ، وتستعد للمزيد من التدمير لدول عربية وإسلامية أخرى ، ناهيك عن التدمير عن طريق الوكيل الوحيد «إسرائيل» والذى أصاب ويصيب دول الجوار والفلسطينيين بالطبع ، فإن آلة الإعلام والسياسة والاقتصاد تحركت بموازاة ذلك وقبل ذلك وبعده ، وهكذا فنحن أمام حرب أمريكية شاملة تستهدف القضاء على أمتنا واستعادة استعمارنا استعماراً مباشراً ، وكل هذا مفهوم ، ولكن أخطر من الحرب والضرب محاولة تدمير الهوية عن طريق الغزو الثقافى والفكرى الذى لا نستطيع صده أو رده ، وأخطر منه وأخطر محاولة تغيير مناهج التعليم فى الدول العربية والإسلامية ، وهى آخر قلاعنا ، ولو تم ذلك - لا قدر الله - لكان هذا بداية النهاية الحقيقية لامتنا ، لان التعليم هو حجر الاساس فى بناء الشخصية والمطلوب مسخ هذه الشخصية والقضاء على تميزها العقائدى والفكرى ومن ثم السياسى والثقافى والحصول بالطبع على نسخة إنسانية مشوهة من النموذج الامريكى قابلة للتبعية لامريكا ، بل مدمنة ومستمرأة لتلك التبعية وتقبل بدور التابع والخادم بسهولة ، وهذا الكلام جزء من مشروع أمريكى واسع النطاق لإعادة صياغة العالم أمريكياً وتسوية النتوءات والتمايزات الثقافية والعقائدية للشعوب ، وبالتالى يصبح العالم ممهداً للخضوع للهيمنة الامريكية بدون مقاومة تذكر .

الاخبار تواترت عن تقديم الولايات المتحدة الامريكية لعدد من المذكرات إلى الدول العربية والإسلامية تدعو إلى إعادة النظر فى تدريس المناهج الدينية والتاريخية والثقافية ، ورفع فكرة الجهاد والمقاومة ، وتغيير كل ما يتصل بالتاريخ الإسلامى ضد الصليبيين أو الإسرائيليين ، وكذلك رفع ما يتصل

بأخلاق اليهود فى القرآن الكريم ، والدعوة إلى ما تسميه تلك المذكرات ، التسامح الدينى – والصحيح الخضوع العربى لأننا أصلاً أمة التسامح ، ولن يعلمنا الغرب التسامح بل نحن الذين علمنا العالم هذا التسامح – وغيرها من المفاهيم المتصلة بالعولمة ، وإذا أضفنا إلى ذلك التدخل الأمريكى فى شئون الأقليات ، وكذلك الاحتجاج على تجريم جريمة الشذوذ أو غيرها ، لأمكننا أن نفهم ما هو المراد بنا .

بالطبع فإن تلك المطالب ليست جديدة ، وحدث شىء منها إبان توقيع مصر اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨ م والدخول فى منزلق التطبيع مع الكيان الصهيونى ، وكذا عندما تم تسلل الأمريكيين إلى مراكز البحوث التربوية والتعليمية فى مصر عن طريق برنامج المعونات الأمريكى وتم تشويه عدد من المقررات الدراسية ، وضغط ساعات اللغة العربية لحساب اللغات الأجنبية وكذلك تغيير المفاهيم وتسريب ما أمكن من المفاهيم المتآمركة ، ولكن الجديد هو أن الطلب هذه المرة محدد ولا يلجأ إلى التسلل بل هو مطلب واضح وحاد وقطعى وإلا فالحرب !! والأمر شديد الخطورة بالطبع ، ولا ننسى فى هذا الصدد أن إسحاق شامير كان قد طالب بإلغاء كلمة الجهاد من القاموس الإسلامى « القرآن والسنة » وذلك فى مؤتمر مدريد عام ١٩٩٢ م فى إطار الحديث عن عملية السلام المزعومة وكان السلام لا يستقر إلا بإلغاء عقائدنا وتحريف نصوصنا الدينية الربانية والنبوية .

ويقال أن عدداً من الدول العربية قد استجاب – كنوع من الانحناء للعاصفة وسوف يتم مراعاة ذلك بالتدريج على حد قولهم ، ونذكر هنا ما قاله المعلق الأمريكى الشهير توماس فريدمان « من الآن وحتى السنوات العشر المقبلة سنعمل على استنساخ عقل إسلامى يفكر على طريقتنا نحن الأمريكان » .

وهكذا فنحن بصدد إظهار طبقة منقحة من الإسلام « الإسلام الأمريكى » يقوم به خبراء التربية والثقافة الأمريكيين بإعادة صياغة الإسلام على الطريقة

الامريكية ، إسلام بلا رجولة ولا تميز ولا هوية ، ولا روح مقاومة ، وهو أمر يعنى مباشرة حذف معظم آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن الولاء والبراء ، أو عن الجهاد والحرب والمقاومة ، أو عن بنى إسرائيل ، وكذلك إلغاء تاريخنا الذى عشناه وعرفناه، والذى يشكل الغزو والتحدى الصليبى الغربى جزءاً كبيراً منه، ليس فقط فى الحملات الصليبية على الشرق من ١٠٩٨م – ١٢٩٥م ، أى تلك التى حدثت طوال ٢٠٠ عام على فلسطين والشام ومصر وتونس بل أيضاً فى كل المواجهات فى الأندلس وفى المغرب العربى « حرب الألف عام » ، ثم المواجهة فى قلب أوروبا « الدولة العثمانية » وعلينا أن نسقط من ذاكرتنا بالتالى صلاح الدين الأيوبى وعماد زنكى ، بل وخالد بن الوليد ومحمد الفاتح.

هذا المطلب الامريكى لن يكون الاخير بالطبع ، وبالتالى فرفضه وتحمل نتيجة ذلك سيكون أفضل من القبول به ومحاولة الالتفاف عليه ، لان هذا المطلب ستتبعه مطالب ، بإلغاء جامعة الأزهر مثلاً ، والزيتونة والقرويين وفاس والنجف وقم ، أو الخضوع لنوع من التفتيش على خطب الجمعة والعيدين ، أو إلغاء المدارس الدينية والجامعات الدينية عموماً ، وفى مرحلة لاحقة محاولة فرض اللغات الاجنبية « الإنجليزية مثلاً » كلغة رسمية ولغة لتلقى التعليم بدعوى العصرية والقضاء على منابع الإرهاب ، وهذا ليس غريباً على العقل الغربى الذى تمثل أمريكا النسخة الأخيرة له ، فقد فعلتها فرنسا فى الجزائر ووصل الامر إلى حد تجريم تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم ومعاقبة من يقوم بذلك ، ولكن الشعب الجزائرى مارس تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم سراً وكان هذا جزءاً من عملية الثورة على المستعمر وشكلاً من أشكال مقاومته.

إنها إذن حرب أمريكية على الهوية ، لا يقبل بها أحد ذو كرامة وتدخل فى صميم شئوننا الداخلية ، بل ومساس خطير بالأمن القومى ، وهنا نسأل سؤالاً

بريئاً ، هل يسمح لنا الامريكيين او الإسرائيليين مثلاً بالتفتيش فى مناهجهم التعليمية ، ومطالبتهم بتغيير بعضها لان بها اموراً تمسنا ، ومن المعروف ان تلك المناهج تمتلا بالافتراءات على العرب والمسلمين وعلى الدين الإسلامى تحديداً وعلى الحضارة الإسلامية ، وترسم صورة مغايرة للحقيقة وتزرع وجداناً معادياً فى العقل الغربى ضد كل ما هو عربى وإسلامى ، وهل يسمح لنا الامريكيون والإسرائيليون بالمطالبة بتغيير القوانين العنصرية ضد الأجانب فى القانون الامريكى والإسرائيلى وخاصة ما تمت صياغته بعد ١١ سبتمبر .

ومن المهم هنا ان نذكر مثلاً ، ان إسرائيل لا تسمح طبقاً للقانون الإسرائيلى بممارسة التبشير المسيحى على أرضها ، وكذلك فإن احداً لا يجرؤ على تغيير المناهج الإسرائيلية الممتلئة بالاساطير التاريخية والعداء والحقد والمناهج العنصرية الإسرائيلية ضد العرب الذين هم غير موجودون اصلاً ، وإن وجدوا فعلى الإسرائيلى قتلهم او طردهم ، ثم إن المدارس الدينية الإسرائيلية التى أفرزت امثال إيجال عامير قاتل رابين ، وباروخ جولدشتاين مرتكب مجزرة المسجد الإبراهيمى بمدينة الخليل ، هذه المدارس تحظى بالدعم الحكومى الإسرائيلى ، ولا يجرؤ الامريكان مثلاً على المطالبة بإلغائها او تعديل مناهجها، بل كل إسرائيل كمجتمع وفكرة وحكومة ومدارس وتعليم وتربية كلها عنصرية حتى النخاع ولا تجرؤ امريكا على المطالبة بتغيير عقلها مثلاً !! .

المطلب الامريكى خطير شكلاً ومضموناً ، وهو جزء من الحملة على العالم الإسلامى ولكنه دخول فى منطقة الالغام ، لان احداً لن يقبل هذا بسهولة ، وربط الموضوع بالإرهاب مغالطة خطيرة ، فالإرهابيون المزعومون بما فيهم المتهمين بارتكاب حوادث ١١ سبتمبر ليسوا خريجى المدارس الدينية ، بل خريجى مدارس مدنية وبعضهم تعلمه فى الغرب وكذا فإن عدداً كبيراً من قادة وعناصر القاعدة بما فيهم اسامة بن لادن وايمن الظواهرى كلهم من غير خريجى المدارس الدينية ، بل إن عدداً لا بأس به من ذوى الاصول - وليس الجنسية

فقط- الإنجليزية والأمريكية والفرنسية وغيرهم الذين دخلوا فى الإسلام حديثاً أو منذ فترة قاتلوا فى صفوف طالبان ، أو قاموا بمحاولة اختطاف طائرات « ريتشارد ريدلى مثلاً » ، وهم ليسوا خريجى مدارس دينية إسلامية ، بل تعلموا وتربوا وشربوا ثقافتهم من مجتمعات غربية ، وهكذا فإن ربط الموضوع بالإرهاب هو نوع من الخداع والصحيح أن محاربة الإرهاب تستخدم كذريعة لتمرير أمركة العالم ، وإعادة بناء العقل الإسلامى على النمط الأمريكى .

ولا شك أن من دواعى الاستفزاز لعقلنا وحضارتنا أن يزعم الأمريكيون أو غيرهم ، أننا نحتاج إلى من يلقننا مفاهيم الحرية أو حقوق الأقليات أو احترام المرأة أو غيرها من المفاهيم لان ذلك كله جزء لا يتجزأ من قيمنا الحضارية أكثر من الغرب عشرات المرات ، فالحرية من صميم المنهج الإسلامى ، بل هى مقدمة على التوحيد لان حرية الاختيار أساس المسئولية والحساب والعقاب وكذلك عرف نصنا النظرى « الكتاب والسنة » وتراثنا الحضارى وممارساتنا أروع أمثلة التعايش بين الأقليات ومختلف الاجناس والأعراق ، ويكفى أن أقليات عرقية ودينية عاشت ولا تزال فى كنف المجتمعات الإسلامية ولم يحدث لها تطهير عرقى كما حدث ويحدث فى الغرب « أوروبا وأمريكا » حتى الآن تقريباً ، والحرية الغربية مثلاً حرية عنصرية وإلا لماذا يسكت الغرب وأمريكا على إنتهاك تلك الحرية بصورة يومية وعلى مدار الساعة فى فلسطين المحتلة منذ ٥٤ عاماً وقبلها عشرات الاعوام ، والأمثلة أكثر من أن تحصى فى إطار العنصرية الغربية تجاه الآخر بل تجاه المرأة ، وهكذا ففاقد الشيء لا يعطيه فلن يعلمنا الغرب وأمريكا قيماً هو ذاته يفتقدها على المستوى العالمى والإنسانى .

ولا يعنى هذا بالطبع أننا نرفض التطوير أو الاستفادة من كل تقدم وكل قيمة صحيحة ونبيلة « فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها » ، شريطة الا يكون ذلك نوعاً من الإملاء وشريطة أن يكون ذلك أمراً صحياً وليس فى إطار إعادة تشكيل وتنميط العالم بما يتلائم مع عصر الهيمنة الامريكية .

ابن لادن ... رجل فى مواجهة أمريكا



أسامة بن لادن
رجل فى مواجهة أمريكا

أسامة بن لادن ذلك الرجل المنسوب إليه تدبير عملية ١١ سبتمبر أى تدمير برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك «رمز الرأسمالية والعولمة» وأحد مبانى وزارة الدفاع الامريكية – التى يسميها أسامة بن لادن وزارة الحرب الأمريكية وليست وزارة الدفاع ، لان أحداً لم يفكر قبل ابن لادن فى الهجوم على الداخل الأمريكى أو عبور المحيط لغزو أمريكا منذ استقلالها عن بريطانيا ، وفى نفس الوقت فإن تلك الوزارة وزارة الحرب أو «البنتاجون» هى التى خططت وادارت مئات الحروب فى كل مكان بالعالم ، وهى وحدها التى قصف رجالها المدن بالقنابل الذرية .

أسامة بن لادن .. المنسوب إليه قتل الآلاف .. من الامريكيين والمتسبب فى خسائر لا حصر لها اقتصادية ونفسية .. بل الذى جعل من أمريكا ومخابراتها وقادتها اضحوكة بين الشعوب ، وأسقط الهيبة الأمريكية فى ساعة أو بعض ساعة .

هذا الرجل الذى أثار ولا يزال يثير الرعب داخل أمريكا وأوروبا ، وتقوم أمريكا من أجل القبض عليه بغزو دولة أفغانستان وإرسال الأساطيل والطائرات والضرب بالصواريخ والقنابل زنة الـ ٥٠٠٠ رطل ، وتحريك الجيوش ، وطلب النصرة من الحلفاء . هذا الرجل الذى ذهب إليه لإحضاره – حياً أو ميتاً كما يقول الرئيس الامريكى بوش – ٤٤ ألف كوماندوز ، و٥ آلاف طائرة هليوكوبتر، ورصد له الرئيس الأمريكى ٤٠٠ مليون دولار لمن يقدم معلومات تؤدى إلى القبض عليه أو معرفة مكانه ، وحشد له ٣٨٠٠ عميل ومخبر سرى وهو اكبر عدد من العملاء الذين يشتركون فى عملية سرية فى كل تاريخ الاجهزة الرهيبة والخفية فى تاريخ العالم ، وذلك للوصول إليه أو إغراء أحد أعوانه بخيانته .

هذا الرجل الذى تحول إلى بطل شعبى وأسطورة ، وأصبح محبوباً جداً لدى الفقراء فى كل مكان ، والعرب والمسلمين بصورة خاصة، والفلسطينيين بصورة أخص ، هذا الرجل الذى يرفع المتظاهرون صوره فى كل مكان فى باكستان ، أندونيسيا ، مصر ، المغرب ، السودان ، ماليزيا . . إلخ ، هذا الرجل الذى أصبح معبود نساء الغرب، والصورة المثلى للرجل المثير لخيال هاتيك النساء الغربيات . لدرجة أن تطبع صوره على ملابسهن ويتحدثن سراً وعلناً عن سر الجاذبية الجنسية التى يتمتع بها أسامة بن لادن لا فرق فى ذلك بين النساء العاديات والمثقفات ، فالصحفية الإنجليزية جين ماكارتنى الصحفية بصحيفة التلجراف اللندنية تعترف أنها مشدودة مثل غيرها من نساء الغرب إلى تلك النظرة الصارمة التى تحملها عينا أسامة بن لادن، تقول جين ماكارتنى: «أسامة بن لادن ليس تشى جيفارا فهو رجل مختلف تماماً فى الشكل والمنظر والمظهر والكلام، أنه مثل فالنتينو، أنه مثال للأسطورة الرومانسية، صحيح أن أسامة بن لادن ليس جيفارا لكنه يبدو لنا نحن النساء أكثر صرامة وحسماً فى عمامته البيضاء، أنه رجل يبدو فى كامل صفات القوة» .

وتضيف نفس الصحفية الإنجليزية «ماكارتنى» : «أن هذه الحالة البيولوجية والسيكولوجية التى تعيشها نساء الغرب الآن هى نفسها سواء كان أسامة بن لادن إرهابياً أو لم يكن ، من أى أرض جاء وإلى أى مكان ارتحل ، بل أن أسامة ابن لادن بالنسبة لنساء الغرب هو الحامى الدائم لهن ، وهو لن يسىء إليهن ولن يكون عدوهن وتختم كلامها بقولها «نحن نعيش عصر الأسامية الحريمية بكل ما فيها من عبق الإرهاب ، والشبق والانطلاق والانفلات ، إنها بداية عصر جديد» .

أسامة بن لادن ذلك الاسم الذى تحول إلى رمز وبطل لدى كل هؤلاء الفقراء الذين تسحقهم العولمة ، والرأسمالية والاستعمار والنهب ، وهؤلاء المطحونين تحت أحذية الطغاة ، وكل من يشعر بالظلم فى العصر الامريكى أسامة بن لادن الذى صوره البعض على أنه جيفارا العصر ، الذى ترك المال والسلطة ورفاهية

الحياة ليمارس فعل الثورة النبيل ، وصوره آخرون على أنه مانسون زعيم الهيبيز الذين رفضوا الحضارة الظالمة واحتجوا عليها سلبياً – وبديهى أنه ليس مثل مانسون ، فابن لادن لم يلجأ إلى السلبية بل قام بفعل إيجابى أيا كان الرأى فى هذا الفعل المنسوب إليه – وصورته النساء فى الغرب على أنه فالنتينو «الرومانسى» . ووصل الأمر إلى أن تصفه إحدى الصحف الأمريكية بأنه فنان شامل ، موهوب فى الإخراج المسرحى ، ويفهم فى كتابة السيناريو والحوار والملابس والإكسسوار والديكور من خلال تحليل شكله وملابسه وخلفية الصور والكلام الذى قاله وطريقة نطقه فى بيانه المسجل تليفزيونياً والذى أذاعته قناة الجزيرة القطرية ، أسامة بن لادن الذى أجاد استخدام الآلة الإعلامية لدرجة جعلت المسئولين الأمريكيين يطلبون ويضغطون على وسائل الإعلام لعدم نشر تسجيلات معه أو نقل كلامه حتى لا يؤثر على الرأى العام ، رغم أن ذلك طبعاً ينسف فكرة حرية الإعلام الأمريكية نسفاً .

من هو أسامة بن لادن ، هل هو البطل القديس الثائر على الاستكبار الأمريكى والزاهد فى رفاهية الحياة والتارك للمال ونفوذ أسرته باتجاه الجهاد والمقاومة والثورة ، أم هو ذلك الإرهابى المعقد ، الذى صنعته المخابرات الأمريكية ثم انقلب عليها ، أم هو تاجر المخدرات الذى يزرع الحشيش والأفيون فى أحراش أفغانستان ويصدرها إلى أوروبا ويحصل على المال ليمول به عملياته الإرهابية .

أسامة بن لادن ، هو ذلك الرجل السعودى الجنسية – والتى أسقطت عنه الحكومة السعودية تلك الجنسية فيما بعد – والمولود فى الرياض عام ١٩٥٧ م ، والذى ترجع جذور والده إلى حضرموت باليمن ، وأمه سورية الأصل ، ترتيبه الثالث والأربعون بين إخوته وبين الذكور هو الحادى والعشرين «عدد إخوته الذكور والبنات ٥٣ أنجبهم والده من ١٣ زوجة» .

كان أبوه حمالاً بسيطاً ، جاء إلى المملكة العربية السعودية من اليمن ، وعمل بلا كلل حتى أصبح أكبر مقاول إنشاءات في المملكة العربية السعودية وحقق من عمله ذلك ثروة كبيرة ، يقدر البعض نصيب أسامة فيها بحوالى ٣٠٠ مليون دولار ، كان الاب عصامياً ، ومتواضعاً ويميل إلى التدين ، وقد احتفظ هذا الوالد - بعد ثرائه - بالكيس «القفة» التى كان يستخدمه عندما كان حمالاً وعلقها فى مكان بارز فى منزله حتى لا ينسى أو ينسى أبناؤه فضل الله عليهم ولا يغتروا بمالهم على الناس .

نشأ أسامة نشأة أخلاقية ودينية ، وكان مجلس والده يضم عادة علماء الدين البارزين ، فقد كان الوالد يرتبط بهم بصلات قوية وصداقة وغالباً كان لا يبخل عليهم بالمال ، وسمع أسامة فى هذه المجالس قضايا الإسلام ، وتحديات العالم الإسلامى ، ورأى الإسلام وعلماء الإسلام فى الأمور المطروحة، ولا شك أن ذلك ساهم فى تشكيل وعيه الدينى والسياسى ، ولا شك أيضاً أن مجمل التطورات العالمية والمحلية التى كان العالم والمنطقة يضطرمان بها قد صقل وعيه مبكراً ، خصوصاً قضية الصراع مع إسرائيل ، وكذا تصاعد المد الإسلامى فى فترات شباب ابن لادن ، حصل ابن لادن على شهادة جامعية عليا فى الإدارة من إحدى الجامعات السعودية ، وعمل مع إخوته فى المقاولات وكان نشاطه نسخة منهم ، إلا أنه تميز عن إخوانه فى نشاطاته المستقلة ، بالمحافظة على صفة الحلال للمال ، عدم الاستثمار إلا فى البلاد الإسلامية إلا لضرورة ، تحاشى شبهة الربا ، تجنب الاستثمار فى البورصة والأسهم الغربية ، يصفه أتباعه بأنه على درجة جيدة من الذكاء والثقة بالنفس ودقة الملاحظة والبديهية وأنه يتريث فى اتخاذ قراراته ويلجأ إلى المشورة دائماً ، كما يصفه أتباعه بالشجاعة ، ويقولون إن من الممكن أن تنفجر قنبلة بجانبه ولا تتحرك منه شعرة ، وقد تعرض خلال جهاده فى أفغانستان إلى أربعين حادثة قصف ثقيل دون أن يشعر بالخوف أو يفر من المعركة ، وهو يتمنى الشهادة ، وقد جرح عدة مرات

وشارف على الموت ، وهو رغم ذلك حذر جداً ، فهو لا يسمح بوجود أجهزة إليكترونية فى المكان الذى يقيم فيه حتى لا تساعد فى الاستدلال عليه من خلال أجهزة خاصة ، وأنه لا يثق إلا بالمجموعة التى يعرفها جيداً ، ويحيط تحركاته وقراراته بالسرية التامة ، ويجيد استخدام وسائل وحيل التضليل . ويرى كثير ممن قابلوه أنه قليل الكلام لا يرفع صوته غالباً ولا يبالغ فى الضحك، صبور يتحمل الصعاب له شعبية قوية عند أتباعه فهم يحبونه حباً جماً ، يتجنب التميز عن أتباعه ويشارك المرافقين له فى كل نشاطاتهم وحياتهم اليومية ويعيش مثلهم فى المأكل والملبس والمسكن .

تزوج ابن لادن مبكراً ، فى سن ١٧ سنة ، ثم تعددت زوجاته فيما بعد ، وله الكثير من الأولاد « لا أحد يعرف عددهم بالضبط » .

عندما غزا الروس أفغانستان سنة ١٩٧٩ م ، حدثت ضجة واسعة فى العالم الإسلامى وخاصة فى السعودية ومصر احتجاجاً على هذا الغزو ، وتداعى الكثيرون للجهاد بالمال والنفس ومساعدة الأفغان فى حربهم ، فسافر أسامة على الفور إلى هناك والتقى بقادة المقاومة ثم عاد بعد شهر واحد ، ليقوم بتنظيم حملة تبرعات ومساندة للأفغان ، وتكررت رحلاته إلى باكستان بغرض تقديم الدعم .

وفى عام ١٩٨٢ م اجتاز الحدود إلى داخل أفغانستان وشارك بنفسه فى القتال ثم قرر أن يقوم من خلال شركته بإنشاء طرق ومعسكرات وشق الجبال لمساعدة المقاومة الأفغانية ، ونجح فى ذلك نجاحاً كبيراً ، وفى عام ١٩٨٤ م أنشأ بيت الأنصار فى بيشاور كمحطة لاستقبال المتطوعين القادمين من البلاد العربية وتدريبهم وإدخالهم إلى مناطق القتال ، وقد زادت حركة التطوع من العرب عام ١٩٨٦ م - ١٩٨٨ م فقرر أن يسجل ذلك فى سجل خاص يتابع به حالة كل شخص حتى إذا استعلم عنه أهله أمكن الإجابة عليهم ، وقد سمى هذا السجل بسجل القاعدة ، وأطلق اسم تنظيم القاعدة على أتباع بن لادن لهذا

السبب وفي تلك الفترة استطاع أسامة بن لادن أن يقيم علاقات واسعة مع الجيش الباكستاني ، والقادة الأفغان ، والمتطوعين العرب ، وقد ساعده ذلك كله في تشكيل تنظيم القاعدة وإدارة علاقاته بالقوى المحيطة به فيما بعد ، وقد حظى بن لادن باحترام جميع الفرقاء والقوى والقبائل والشباب المقاتل ، لأنه كان يقاتل بنفسه ويصمد كثيراً في المعارك وبرزت له بطولات خاصة في عدد من المعارك منها معركة مأسدة الأنصار التي وقعت في شهر يونيو عام ١٩٨٧ م، وقال عنها أحد القادة الأفغان وهو عبد رب الرسول سياف : «إن الإخوة العرب في مأسدة الأنصار قد أثبتوا بسالة كانت محل إعجاب الجميع» .

بعد هزيمة السوفيت وخروجهم من أفغانستان ، عاد أسامة بن لادن إلى السعودية ، ثم أحس بأنه محاصر فقرر الرحيل إلى باكستان ومن ثم إلى السودان ، إلا أنه صدر قرار بتجميد أمواله في السعودية عام ١٩٩٢ م لأنه كان يعارض الوجود الأجنبي «الأمريكي - الإنجليزي» في الخليج عموماً وفي السعودية خصوصاً ، وفي عام ١٩٩٤ م صدر قرار سعودي بحرمانه من جنسيته، وفي إبان تلك الفترة قام أسامة بن لادن بتنفيذ عدد من المشروعات في السودان ، منها طريق التحدى الذى يربط بين بورسودان والخرطوم ، وكانت تكاليف المشروعات التي نفذتها شركات أسامة بن لادن في السودان حوالي ٢٠٠ مليون دولار لم تدفع الحكومة السودانية منها إلا ١٠٪ ، وفي عام ١٩٩٥م حدث انفجار في الرياض «نوفمبر ١٩٩٥ م» ونسب إلى مجموعة متأثرة بابن لادن وتنظيم القاعدة ، وأحس أسامة بن لادن بأن هناك ضغوطاً على السودان وأنها لم تعد تحتمل إقامته ، فرحل عنها إلى أفغانستان في عام ١٩٩٥ م ، وهناك كان في استقباله الشيخ يونس خالص والشيخ حقاني ، ما أن وصل إلى أفغانستان حتى أعلن عدم الدخول في الصراعات التي كانت محتدمة بين الفصائل في ذلك الوقت وكانت حركة طالبان قد بدأت تظهر منذ عام ١٩٩٤ م ، ثم زحفت على جلال آباد حيث كان يقيم أسامة بن لادن

وكان كل من الشيخ يونس خالص ، والشيخ حقانى قد انضما إلى حركة طالبان وتم ترتيب مقابلة بين الملا عمر زعيم طالبان وأسامة بن لادن ، وأعلن الملا عمر أن أسامة بن لادن فى ضيافة طالبان ، وفى عام ١٩٩٦ م ، وعندما استولت طالبان على العاصمة كابول ، انتقل أسامة بن لادن للعيش هناك وأصبحت طالبان القوة الأساسية فى أفغانستان ، وتوثقت علاقة أسامة بن لادن بها ، وكان رجال طالبان يرون أن أسامة بن لادن له ماضٍ مشرف فى الجهاد ضد الغزو الروسى وكذلك أنه ساعد حركة طالبان فى إنقاذ كابول مرتين من هجوم أحمد شاه مسعود بعد انكشاف أحد الجبهات ، وأنه أقنع عدد من الشباب العربى المتخصصين بتقديم المساعدة لطالبان بشأن إعمار أفغانستان ، وفى نفس الوقت كان ابن لادن يرى أن طالبان ذات مشروع لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وأنهم لم يصابوا بما أصيبت به الأحزاب الأخرى وزعاماتها من حب السيطرة المجردة والاستعداد لحرق البلد من أجل التنافس على الحكم وإهمال تطبيق الإسلام .

ولم تكن الحركة تمانع فى نشاطه ، أو مواقفه الداعية إلى إخراج القوات الأمريكية من الجزيرة العربية دون أن تشارك هى مباشرة فى ذلك ، وقد حدث حادث الخبر ضد التواجد الأمريكى - عام ١٩٩٦ م - ولكن أصابع الاتهام لم تشر إلى ابن لادن مباشرة ، إلا أن أسامة بن لادن أصدر بياناً من ١٢ صفحة وقعه باسمه الشخصى بعنوان «إعلان الجهاد لإخراج الكفار من جزيرة العرب» وبعد ذلك نسب إلى بن لادن وتنظيم القاعدة عمليتى نسف السفارتين الأمريكيتين فى كل من كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨ م ، ثم عملية تدمير المدمرة الأمريكية كول فى مياه عدن عام ٢٠٠٠ م .

***

لا شك أن هناك محاولات ستستمر طويلاً فى تشويه صورة أسامة بن لادن ، أو التقليل من شأنه ، وذلك حتى لا يتحول إلى نموذج وبطل فى نظر كل

مناهضى أمريكا وكل المقهورين تجاه جبروتها وحتى لا تحدث ثقة بالنفس فى إمكانية إنزال الوجع والألم بالجبابرة والمغامرة بعدم السكوت عليهم ، كل هذا مطلوب أمريكياً ، بل مطلوب أحياناً لأسباب أخرى ، ومحاولة تشويه صورة بن لادن أخذت أكثر من وسيلة منها اتهامه بالعمالة للمخابرات الأمريكية وأنها صنعته وخرج عليها ، وهو اتهام وقع فيه صحفيون وكتاب كبار رددوا المسألة بدون وعى وكأنها مسلمة لا يرقى إليها الشك ، والحقيقة أن ذلك محض افتراء وغباء، فالرجل لم يذهب إلى أفغانستان حباً للأمريكان ، بل كواجب إسلامى لمناهضة الغزو السوفيتى ، وإذا توافق ذلك مع رغبة الأمريكان فى ذلك الوقت على أساس الصراع بين أمريكا والاتحاد السوفيتى وحالة الاستقطاب الدولى فإن ذلك لا يعنى الرجل فى شىء ، أكثر من هذا فإن الاستفادة من التناقضات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت ليس عيباً ، بل فعله الجميع « دول عدم الإنحياز ومنها مصر فى عام ١٩٥٦ م وغيرها وحتى ١٩٧٠ م » . ولا تعنى الاستفادة من هذا التناقض العمالة لإحدى القوتين ، على أنه لم يحدث أصلاً أن تعاون أسامة بن لادن بالذات مع الأمريكان فى أى شىء ، وبديهى أن أسامة بن لادن الذى ينحدر من أسرة غنية واسعة النفوذ ، والذى كان نصيبه فى تلك الثروة حوالى ٣٠٠ مليون دولار ، فهو ليس فى حاجة شكلاً أو مضموناً للعمالة لأحد لا الأمريكان ولا غيرهم ، ثم هو شارك بنفسه فى القتال وهذه ليست صفات عملاء ، وكل حياته تؤكد أنه رجل صاحب مبدأ أو موقف ورجولة ، سواء اتفقت معه أو اختلفت وهو ليس صاحب مصلحة شخصية من أى نوع .

على أى حال فإن الرجل قد نفى أى علاقة أو تعاون – مبررة أو غير مبررة – بالأمريكان – ونحن نصدقه ، أما ترويج هذه الفرية على نطاق واسع فهو جزء من الحملة النفسية لسحب آثار جهاد بن لادن على الشعوب المقهورة ، ويدخل فى الإطار نفسه القول بأنه يتاجر بالمخدرات أو غيرها من الأقوال .

وفى محاولة لتفسير سلوك بن لادن – بعيداً عن البطولة والرجولة – روج بعض المحللين النفسيين، أن أسامة شخص معقد بسبب زواج أبيه لأكثر من زوجة وأنه كان صبياً وحيداً بين ٥٣ أخ وأخت، وهو كلام قد يصلح للحياة الاجتماعية فى الغرب ولا يصلح بالطبع لتفسير الظروف الاجتماعية فى البلاد العربية والإسلامية عموماً، والمملكة العربية السعودية فى ذلك الوقت خصوصاً.

وفى الإطار نفسه تم ترويج كلام عن علاقات نسائية فى شباب بن لادن فى بيروت ومدريد ، وهو كلام غير صحيح بالطبع ، لأن نشأة بن لادن وأسرته وزواجه فى سن ١٧ سنة لا يسمح بتصديق هذا الهراء .

لم تقتصر المحاولات على تشويه صورة أسامة بن لادن فقط بل اشتملت أيضاً على محاولة التقليل من قيمته ، فهو فى رأى البعض – ليس صاحب مشروع سياسى ، وليس مثل جيفارا ، والغريب أن هؤلاء ينسون أو يتناسون ، أن الرجل يطالب برحيل القوات الأجنبية عن الجزيرة العربية ، وبالتوقف عن ضرب وحصار العراق ، والتوقف عن دعم إسرائيل ضد الفلسطينيين ، ولولا هذا الكلام لما جرؤ أحد أن يطالب أمريكا بربط مناهضة الإرهاب بحل المشكلة الفلسطينية ، وكذا فإن الجذر الثقافى والحضارى والدينى للرجل يعنى أنه صاحب مشروع ، أليس فى الإسلام مشروعاً لحكم الدول والعالم وللعلاقات الدولية وغيره ، وهل شرط أن يكون الزعيم الثائر هو ذاته المفكر !! ليس شرطاً بالطبع ، والمشروع الإسلامى معروف ومنشور على يد أكثر من مفكر فى أكثر من مناسبة بل وهناك برامج حزبية تم نشرها وطبعت فى كتب ونشرت فى صحف .

ثم إن المقارنة بينه وبين جيفارا ظلم للرجلين معاً، فكلاهما ثائر على الظلم، الأول كان جذره الثقافى ماركسياً والثانى جذره الثقافى إسلامى ، ولو كان جيفارا حياً حتى اليوم لانحاز إلى الجذر الثقافى الإسلامى بعد أن انكشف عدم

صلاحية الماركسية أو لاهوت التحرير المسيحى لمواجهة الرأسمالية لأنهما خرجا من نفس الأرضية الحضارية - الحضارة الغربية - التى خرجت منها الرأسمالية ولابد أن تفشل فى مواجهتها ، وشرط نجاح أى منظومة أو أيديولوجية فى مواجهة الرأسمالية ، أن يكون جذرها الثقافى مستمد من حضارة ونموذج حضارى خارج الحضارة الغربية ، وأن يكون خطاب هذه الحضارة عالمياً وغير عنصرى ومنحاز للفقراء ، وهذا بالضبط هو الخطاب الإسلامى .

وفى الإطار ذاته قال البعض إن الرجل مصاب بالخلل لأنه يعادى أمريكا أكثر من عدائه لإسرائيل التى هى السبب فى عدائه لأمريكا ، وهكذا فإنه يترك الأصل ويهتم بالفرع ، وهذا كلام أوله خطأ وآخره خطيئة ، فالمشروع الصهيونى برمته مشروع غربى ، وإذا كانت أمريكا هى وارثة المشروع الاستعمارى الغربى ، فإن إسرائيل بالتالى مشروع أمريكى حالياً ، يعمل كوكيل عن الاستعمار الأمريكى ، وكمفرزة أمريكية وغربية متقدمة ، وكغدة سرطانية فى جسد الأمة ، وهى الذراع التى تستخدمها أمريكا فى تحقيق أهداف الغرب الإستراتيجية والحضارية والتكتيكية ، وبالتالى فإن أمريكا هى الأصل ، ومحاربة الأصل أفضل طبعاً ، وإن كان ذلك لا يمنع من مواجهة الذراع والفرع أيضاً ، فقط علينا أن ندرك أن الصراع الأصلى هو مع أمريكا والغرب والرأسمالية .

***

أصبح ابن لادن بطلاً شعبياً أسطورياً ، وسواء كان هو الذى فعل ما حدث فى ١١ سبتمبر ، أو لم يكن ، وسواء كان وراء الحرب البيولوجية ضد أمريكا أو لم يكن ، وبصرف النظر عن الرأى فى تلك الأعمال - غير المبررة - فإن الغضب وتراكم الغيظ والاستفزاز لدى الشعوب من ممارسات أمريكا ، صنعت من الرجل بطلاً وأسطورة ، وجعلته يصبح أهم شخصية فى العالم ، وسوف يكون محور تمجيد فنى وعاطفى من كل الفقراء والمستضعفين فى العالم ، ومحور لهجوم المستكبرين وأفلامهم وأعمالهم الإعلامية المختلفة .

***

النص الكامل لشريط الفيديو الذى حطم أعصاب أمريكا
بن لادن : إرهابنا محمود ولم نقتل بريئاً

• **الذين ناصروا المستضعفين فى أفغانستان ضد السوفيت لا يمكن أن يقتلوا الأبرياء.**

• **أحداث ١١ سبتمبر رد فعل على الظلم المتواصل ضد أبنائنا فى فلسطين والعراق والسودان والصومال.**

• **أمريكا تقوم على قوة اقتصادية لكنها هشة وما أسرع أن تهاوت.**

• **المعركة الدائرة الآن فى أفغانستان أظهرت عجز الجيش الأمريكى !.**

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد ، فبعد مرور ثلاثة أشهر على الضربات المباركة ضد الكفر العالمى ضد رأس الكفر أمريكا وبعد مرور شهرين تقريباً على الحملة الصليبية الشرسة على الإسلام ، يطيب لنا أن نتحدث عن بعض دلالات هذه الأحداث .

فهذه الأحداث بينت أموراً كثيرة فى غاية الأهمية للمسلمين ، فقد اتضح بجلاء أن الغرب عامة وعلى رأسها أمريكا تحمل من الحقد الصليبى على الإسلام ما لا يوصف ، والذين عاشوا هذه الأشهر تحت القصف المتواصل من الطائرات الأمريكية بأنواع مختلفة يعلمون ذلك حق العلم .

فكم من قرى أبيدت بدون ذنب وكم وكم لو حسبنا من الملايين الذين شردوا فى هذا البرد القارس ، هؤلاء المستضعفون من الرجال والنساء والولدان تؤويهم اليوم الخيام فى باكستان لا ذنب لهم ، مجرد شبهة ، فشنت أمريكا هذه الحملة الشرسة .

ولو كان عند أمريكا من الادلة ما يصل إلى درجة اليقين ان الذين قاموا بهذا العمل كانوا ينتسبون إلى أوروبا ، كالجيش الايرلندى مثلاً ، لكان عندها من السبل الكثير لعلاج هذه المشكلة ، ولكن لما كان الامر مجرد شبهة تشير إلى العالم الإسلامى فظهر الوجه القبيح الحقيقى وظهر الحقد الصليبى على العالم الإسلامى بوضوح .

وبين يدى هذا الكلام أحب ان أؤكد على حقيقة الصراع بيننا وبين أمريكا، وهو فى غاية الاهمية والخطورة ليس للمسلمين فقط بل للعالم أجمع ، فما تتهم به أمريكا هذه الفئة المهاجرة المجاهدة فى سبيل الله لا يقوم عليه دليل وإنما هى البغى والظلم والعدوان .

فتاريخ المجاهدين العرب بفضل الله سبحانه وتعالى واضح فقد خرج هؤلاء منذ ٢٠ سنة عندما ظهر الإرهاب المذموم الحقيقى على أيدى الاتحاد السوفيتى ضد هؤلاء الاطفال وضد الابرياء فى أفغانستان ، ترك المجاهدون العرب أعمالهم وجامعاتهم وأهلهم وعشيرتهم ابتغاء مرضاة الله ، نصرة لدين الله ثم نصرة للمستضعفين من أبناء المسلمين .

فالذين خرجوا لنصر المستضعفين لا يعقل اليوم ان يذهبوا لقتل الأبرياء كما يزعم الزاعمون ، فهذا التاريخ أمريكا كانت تؤيده كل من يجاهد كل من يقاتل ضد الروس ، فلما من الله على المجاهدين العرب أن ينصروا المستضعفين فى فلسطين أولئك الأطفال الأبرياء غضبت أمريكا وقلبت ظهر المجن لكل من قاتل فى أفغانستان .

فإن ما يجرى اليوم فى فلسطين أمر فى غاية الوضوح ومحل اتفاق البشرية منذ آدم عليه السلام ، فإن الفطر قد تفسد ويختلف الناس فى كثير من الامور، ولكن هناك بعض الفطر يحفظها الله سبحانه وتعالى من الفساد إلا من شذت نفوسهم وبلغت مبلغاً عاتياً فى الظلم والعدوان ، فمن الفطر المتفق عليها ان

الناس حتى وإن أصابهم بعض الظلم وبعض العدوان نفوسهم لا تستطيع أن تقتل الأطفال الأبرياء .

وما جرى فى فلسطين وما يجرى اليوم من قتل متعمد للأطفال هذا أمر فى غاية القبح وفى غاية الظلم والعدوان وهو يهدد البشرية جمعاء .

وما عرف التاريخ أن أحداً يقتل الأطفال إلا نادراً وهو مذهب فرعون ، والله سبحانه وتعالى منّ على بنى إسرائيل هؤلاء إذ نجاهم من فرعون ﴿إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ ، فتذبيح الأطفال أمر اشتهر به رأس الظلم والكفر والعدوان فرعون ، ولكن بنى إسرائيل استخدموا نفس الأسلوب ضد أبنائنا فى فلسطين ، والعالم أجمع نظر وشاهد العساكر الإسرائيليين وهم يقتلون محمد الدرة وغير محمد الدرة كثير .

فالعالم بأسره فى شرقه وفى غربه على اختلاف ملله مجرد كون الناس ناساً استنكروا هذا الفعل ، ولكن أمريكا سادرة فى غيها تؤيد هؤلاء الظلمة هؤلاء المعتدين على أبنائنا فى فلسطين ، والله سبحانه وتعالى بيّن أن النفس إذا بغت واعتدت ووصلت إلى حد أن تقتل نفساً بغير حق فهذا أمر فى غاية البشاعة ، ولكن أبشع منه أن يقتل الأطفال الأبرياء ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ .

فهؤلاء فى الحقيقة كأنما قتلوا جميع الأطفال فى العالم ، إسرائيل ومن ورائها أمريكا ، وما الذى يرد إسرائيل عن قتل أبنائنا غداً فى تبوك وفى الجوف وفى حولها من المناطق ، وما سيفعل الحكام إذا وسعت إسرائيل من أرضها المطبوعة فى كتبهم الظالمة الجائرة الزائفة كما يزعمون ، وقال إن حدودنا إلى المدينة ، ماذا سيفعل الحكام وهم يرضخون لهذا اللوبى الصهيونى الأمريكى .

فلابد للعقلاء أن يستيقظوا ، وأن ما أصاب محمد الدرة وإخوانه سوف يصيب غداً أبناءهم ونساءهم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فالأمر فى غاية الخطورة والإرهاب المذموم تمارسه أمريكا على أبشع صوره فى فلسطين وفى العراق ، وبوش الأب هذا الرجل المشئوم كان سبباً فى قتل أكثر من مليون طفل فى العراق فضلاً عن غيرهم من الناس من الرجال والنساء.

أحداث ١١ سبتمبر ما هى إلا رد فعل للظلم المتواصل الذى يمارس على أبنائنا فى فلسطين وفى العراق وفى الصومال وفى جنوب السودان وفى غيرها كما فى كشمير وأسام .

وأحداث ٢٢ جمادى الثانى الموافق الحادى عشر من سبتمبر ما هى إلا رد فعل للظلم المتواصل الذى يمارس على أبنائنا فى فلسطين وفى العراق وفى الصومال وفى جنوب السودان وفى غيرها كما فى كشمير وأسام ، فالأمر يخص الأمة بأسرها فينبغى على الناس أن يستيقظوا من رقادهم وأن يهبوا لإيجاد حل لهذه الكارثة التى تهدد البشر جميعاً .

وأما الذين أدانوا هذه العمليات فهؤلاء نظروا إلى الحدث بصفة مستقلة ولم يربطوه بالأحداث الماضية والأسباب التى أدت إليه ، فنظرتهم قاصرة ولا تنطبق ولا تنطلق لا من أصل شرعى ولا من أصل أيضاً عقلانى ، وإنما رأوا الناس ورأوا أن أمريكا والإعلام يذم هذه العمليات فقاموا يذمونها .

وهؤلاء مثلهم كمثل ذئب رأى حملاً فقال لهذا الحمل – ولد النعجة – أنت الذى عكرت علىّ الماء فى العام الأول ، قال يا هذا لست أنا قال بل أنت ، قال إنما أنا ولدت فى هذا العام ، قال إذن أمك التى عكرت علىّ فأكل هذا الحمل ، فما كان من هذه الأم المسكينة التى رأت ابنها يمزق بين أنياب هذا الذئب إلا أن دفعتها عاطفة الأمومة فنطحت هذا الذئب نطحة لا تقدم ولا

تؤثر ، فصاح الذئب وقال انظروا إلى هذه الإرهابية ، فقام هؤلاء الببغاوات يرددون ما يقول الذئب ويقولون نعم نحن ندين نطح النعجة لهذا الذئب ، أين أنتم من أكل الذئب لابن هذه النعجة .

فإن هذه الضربات المباركة الموفقة إنما هى ردود فعل لما يجرى على أرضنا فى فلسطين وفى العراق وفى غيرها ، وإن أمريكا فى مواصلتها لهذه السياسة بمجىء هذا الابن جورج بوش الذى ابتدأ حكمه بغارات جوية عنيفة على العراق أيضاً ليؤكد على سياسة الظلم والعدوان ، وعلى أن دماء المسلمين لا ثمن لها .

فكان هذا الرد المبارك بفضل الله سبحانه وتعالى ، وهذه الضربات المباركة لها دلالات عظيمة ، فقد أوضحت بجلاء أن هذه القوة المتغطرسة المتكبرة هبل العصر أمريكا تقوم على قوة اقتصادية عظيمة ، ولكنها هشة ما أسرع أن تهاوت بفضل الله سبحانه وتعالى .

فالذين قاموا بالعمل ليسوا تسع عشرة دولة عربية ولم تتحرك الجيوش ولا وزارات الدول العربية التى ألفت الخنوع والظلم الذى يصيبنا فى فلسطين وفى غيرها ، وإنما تسعة عشر من طلاب الثانويات – أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبلهم – هزوا عرش أمريكا وضربوا الاقتصاد الامريكى فى صميم فؤاده وضربوا أكبر قوة عسكرية فى عمق قلبها بفضل الله سبحانه وتعالى .

فهنا دلالة واضحة على أن هذا الاقتصاد العالمى الربوى الممحوق الذى تستخدمه أمريكا مع قوتها العسكرية لفرض الكفر والإذلال على الشعوب المستضعفة يمكن بسهولة أن يتهاوى ، فتلك الضربات المباركة قد ألحقت بأمريكا باعترافهم هم فى أسواق نيويورك وفى غيرها أكثر من تريليون دولار خسارة بفضل الله سبحانه وتعالى ، وبإمكانيات بسيطة استخدموا طائرات العدو ودرسوا فى مدارس العدو فلم يحتاجوا إلى معسكرات تدريب ، وإنما

فتح الله عليهم وأعطوا هذا الدرس القاسى لتلك الشعوب المتكبرة التى لا ترى للحرية معنى إلا أن تكون للجنس الأبيض ، وأما الشعوب الأخرى فيروا أنها ينبغى أن تكون ذليلة مستعبدة لا يحركون ساكناً بل يصفقون لرؤسائهم عندما يضربوننا كما حصل من قبل فى العراق .

فأقول إن القوة العسكرية الأمريكية وإن أظهرت أمريكا استعراضها لهذه القوة فى أفغانستان فى الفترة الأخيرة وصبت جام غضبها على هؤلاء المستضعفين ، فقد أخذنا بفضل الله سبحانه وتعالى دروساً عظيمة ومهمة فى كيفية مقاومة هذه القوة المتكبرة .

فعلى سبيل المثال ، لو أن خط الجبهة مع العدو يبلغ فى طوله إلى ١٠٠ كم فينبغى أن يكون هذا الخط عريضاً ، بمعنى لا نكتفى بخط دفاع بعمق أو بعرض ١٠٠ م أو ٢٠٠ م أو ٣٠٠ م بل ينبغى أن يعرض هذا الخط إلى عدة كيلو مترات وتحفر الخنادق على طول الجبهة وعلى عرضها ، فكثافة القصف الأمريكى تستنزف قبل أن تصل إلى نهاية تدمير هذه الخطوط وتكون هناك قوات خفيفة وسريعة للحركة من خط إلى خط ومن حركة دفاعية إلى حزمة دفاعية .

فاستفدنا هذا بعد القصف الكثيف الذى مارسه الأمريكان على خطوط الشمال وعلى خطوط كابل ، وبهذه الطريقة تمر السنوات ولا تستطيع أمريكا بإذن الله سبحانه وتعالى أن تكسر خطوط المجاهدين .

ومن جهة أخرى كما هو معلوم إن القتال لابد له من عنصرين ، عنصر الأنفس المقاتلة وعنصر المال مثل شراء السلاح ، وهذا الأمر مؤكد فى كتاب الله سبحانه وتعالى ، كما قال سبحانه وتعالى فى آيات كثيرة يؤكد على هذا المعنى منها قوله سبحانه وتعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ .

فبالمال والنفس ، فالقاعدة العسكرية الامريكية وإن كانت المسافة بيننا وبينها بعيدة جداً وأسلحتنا لا تصل إلى طائراتهم فبالإمكان بواسطة الخطوط الدفاعية العريضة امتصاص هذه الضربات ، وطريقة أخرى ضرب القاعدة الاقتصادية التي هي أساس للقاعدة العسكرية فإذا انتهى اقتصادهم شغلوا بأنفسهم عن استعباد الشعوب المستضعفة .

فأقول من المهم جداً التركيز على ضرب الاقتصاد الامريكي بكل وسيلة ممكنة ، وهؤلاء الذين يدعون الإنسانية ويدعون الحرية رأينا هنا إجرامهم الحقيقي ، فالإنسان تكفيه شظية وزيادة عليه وزنها سبعة جرامات ، فأمريكا من حقدها على هؤلاء الطالبان ومن حقدها على المسلمين كانت ترمي على إخواننا في الخطوط قذائف تصل القذيفة الواحدة إلى ٧ أطنان ، يا أهل الحساب يعني ٧ آلاف كيلو يعني تساوي ٧ ملايين جرام بينما يكفي الإنسان ٧ جرامات وزيادة عليه .

وعندما فجر الشباب - نرجو الله ان يتقبلهم شهداء - في نيروبي أقل من اثنين طن قالت أمريكا هذا ضرب إرهابي ، وهذا سلاح تدمير شامل وأما هي تستخدم قذيفتين كل قذيفة ٧ ملايين جرام فهذا لا حرج فيه .

ويطلع علينا وزير الدفاع بعد ان قصفوا قرى بكاملها بدون سبب وإنما من أجل إرهاب الناس وجعل الناس يخافون من استضافة العرب أو الاقتراب منهم ، طلع وزير الدفاع وقال هذا من حقنا ، من حقهم أن يبيدوا الشعوب طالما أنها مسلمة وطالما أنها غير أمريكية ، هذا هو الإجرام بعينه واضح بيّن وكل ما تسمعون من قولهم إنه خطأ هذا من الكذب الواضح البيّن .

فقبل أيام ضربوا كما زعموا مواقع القاعدة في خوست وأرسلوا قذيفة موجهة على مسجد قالوا وقعت بالخطأ ، وبعد التحري اتضح أن العلماء في خوست كانوا يصلون صلاة التراويح وكان عندهم اجتماع بعد صلاة التراويح

مع البطل المجاهد الشيخ جلال الدين حقانى الذى كان أحد أبرز قيادات الجهاد السابق ضد الاتحاد السوفيتى والذى رفض هذا الاحتلال الأمريكى على أرض أفغانستان ، فقصفوا المسجد والمسلمين فى الصلاة فقُتل منهم مئة وخمسون ولا حول ولا قوة إلا بالله وسلم الشيخ جلال نرجو الله أن يبارك فى عمره .

هذا هو الحقد الصليبى ، فلينتبه الذين يرددون الكلام دون أن ينتبهون إلى أعوانه ويقولون نحن ندين الإرهاب ، نحن إرهابنا ضد أمريكا هو إرهاب محمود لدفع الظالم عن ظلمه لكى ترفع أمريكا دعمها عن إسرائيل التى تقتل أبناءنا ، والأمر واضح بيّن ألا تعقلون ؟ .

أمريكا ورؤساء الغرب كثيراً ما يرددون أن حماس والجهاد فى فلسطين وغيرها أيضاً من المنظمات المقاتلة يسمونها منظمات إرهابية ، إذا كان الدفاع عن النفس إرهاباً فأى شىء هو المشروع ؟ ، فدفاعنا لا يختلف وقتالنا لا يختلف عن قتال إخواننا فى فلسطين كحماس ، نقاتل من أجل لا إله إلا الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ولنرفع الظلم عن المستضعفين فى فلسطين وفى غيرها .

الأمر واضح بين ، وما ينبغى لمسلم عاقل أن يقف فى ذلك الخندق تحت أى تأويل من التأويلات ، فهذه أخطر وأعنف وأشرس حرب صليبية تشن ضد الإسلام ، وبإذن الله نهاية أمريكا قريبة ونهايتها ليست متوقفة على وجود العبد الفقير ، أسامة قتل أم بقى ، فبفضل الله قد قامت الصحوة وكان من مكاسب هذه العمليات أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هؤلاء الشباب فى الشهداء وأن يجمعهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

فهؤلاء الشباب قاموا بعمل عظيم جداً بعمل جليل جزاهم الله خير الجزاء ونرجو الله أن يكونوا ذخراً لآبائهم وأمهاتهم ، فقد رفعوا رأس المسلمين عالياً وأعطوا أمريكا درساً لن تنساه بإذن الله سبحانه وتعالى .

وقد حذرت فيما مضى فى لقاء مع قناة ABC أن أمريكا بدخولها فى صراع مع أبناء الحرمين سوف تنسى أهوال فيتنام ، وهذا الذى كان بفضل الله سبحانه وتعالى وما خفى كان أعظم بإذنه سبحانه وتعالى .

فمن بلاد الحرمين خرج خمسة عشر شاباً - نرجو الله أن يتقبلهم فى الشهداء - من أرض الإيمان ، هناك أعظم كنز للمسلمين حيث يأرز الإيمان كما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة كما تأرز الحية إلى جحرها ، وأيضاً خرج اثنان من شرق جزيرة العرب من الإمارات ، وخرج آخر من الشام وزياد الجراح - نرجو الله أن يتقبله فى الشهداء - وخرج الآخر من أرض الكنانة من مصر محمد عطا فنرجو الله أن يتقبل الجميع شهداء .

فهؤلاء فى تصرفهم هذا أعطوا دلالات عظيمة جداً ، وبينوا أن هذا الإيمان الذى فى قلوبهم يستدعى مقتضيات كثيرة ويستدعى أن تقدم الروح من أجل لا إله إلا الله ، فهؤلاء فتحوا باباً عظيماً للخير والحق ، ومن يقول إن العمليات الفدائية الاستشهادية لا تجوز إنما هؤلاء الذين نسمع أصواتهم فى الإعلام إنما يرددون شهوات الطغاة شهوات أمريكا وعملاء أمريكا .

أمة من ١٢٠٠ مليون مسلم تنحر من مشرق الأرض إلى مغربها فى كل يوم فى فلسطين وفى العراق وفى الصومال وفى جنوب السودان وفى كشمير وفى الفلبين وفى البوسنة والشيشان وفى أسام لا نسمع لهم صوتاً ، فإذا ما قامت الضحية إذا ما قام المظلوم يقدم نفسه من أجل دينه ارتفعت أصوات هؤلاء ١٢٠٠ مليون مسلم ينحرون لا حس لهم فإذا قام رجل ليذود عن هؤلاء قام هؤلاء يرددون ما يشتهى الطغاة ، لا عقل لهم ولا فقه لهم .

وفى حديث الغلام والملك والساحر والراهب دليل واضح على تقديم النفس من أجل لا إله إلا الله ، وهنا معنى آخر أن النصر لا يعتبر فقط بالكسب الظاهر الذى غلب على ذهن الناس وإنما النصر هو الثبات على المبادئ .

فاهل الاخدود ذكرهم الله سبحانه وتعالى وخلد ذكرهم فى سياق المدح لهم إذ ثبتوا على الإيمان ، هُددوا بين الإيمان وبين أن يدخلوا النار ، فأبوا أن يكفروا بالله سبحانه وتعالى وأدخلوا النار ، وفى نهاية الحديث - حديث الغلام - عندما أمر الملك الظالم أن يقحم هؤلاء فى الاخدود ، وجاءت تلك الأم المستضعفة تحمل ابنها فلما رأت النار خافت على ابنها وتقاعست فقال لها كما قال عليه الصلاة والسلام ، اصبرى يا أماه فإنك على الحق .

فهؤلاء لا يقول مسلم بحال من الاحوال ماذا استفادوا ؟ ضيعوا أنفسهم ، هذا جاهل جهلاً مركباً ، هؤلاء فازوا برضوان الله سبحانه وتعالى وبجنات الخلد التى وعدهم الله سبحانه وتعالى ، فليس النصر هو الكسب المادى فقط وإنما النصر الثبات على المبادئ .

وفى الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام هذا حديث الغلام ، عندما أخذ الغلام الحجر وكان مازال قليل العلم وهو يتردد بين الساحر والراهب وقطعت الدابة الطريق على الناس - قال اليوم أعلم أيهما أفضل الراهب أم الساحر ، كان من قلة علمه لم يفقه بعد أيهما أفضل وتطمئن نفسه .

فسأل الله أن يريه أيهما أفضل ، فإن كان الراهب أحب إلى الله سبحانه وتعالى فليقتل هذه الدابة ، فأخذ حجراً ورمى الدابة فقتلها ، فجاء الراهب إلى الغلام وقال : يا بنى إنك اليوم أفضل منى ، هذه الكلمة رغم علم الراهب وجهل الغلام ولكن نوّر الله سبحانه وتعالى قلب هذا الغلام بنور الإيمان وبدأ يضحى من أجل لا إله إلا الله .

هذه الكلمة العزيزة نادرة ينتظرها شباب الإسلام من علمائهم ، أن يقولوا لهؤلاء الذين حملوا رؤوسهم على أكفهم من أجل لا إله إلا الله أن يقولوا لهم قولة ذلك العالم لذلك الغلام إنكم اليوم أفضل منا .

هـذه هى الحقيقـة فميزان التفضيل فى هذا الـدين هو كما فى الحديث عن نبينا عليه الصــلاة والسلام ، ميزان الإيمان ليس جمـع العلم فقط بل جمع العلم والعمل به ، فميزان الإيمـان فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن كما قـال عليـه الصــلاة والسـلام ، ومن جـاهدهم بلسانه فـهـو مـؤمن ومن جـاهدهم بقلبـه فـهـو مـؤمن وليس وراء ذلك حبـة خـردل من إيمـان ، فـهـؤلاء جاهدوا الكفـر الاكبر بأيديهم وأنفسهم نرجو الله أن يتقبلهم فى الشهداء .

هؤلاء كما قال عليه الصلاة والسلام سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل – رجل هنا نكرة – ولكن نور الله قلبه بالإيمان ، ورجل قام إلى إمام جائر فامره ونهاه فزجره فقتله ، كما فى صحيح الجامع .

هذا فاز فوزاً عظيماً لم يدرك التابعين بل لم يدرك الصحابة الكرام ﷺ ، وإنما رفعه الله سبحانه وتعالى إلى منزلة سيد الشهداء فهذا أمر حض عليه رسولنا – عليه الصلاة والسلام – فكيف يمكن لمسلم عاقل أن يقول ماذا استفاد هذا ، هذا ضلال مبين نسأل الله العافية .

فهؤلاء الفتية فتح الله عليهم أن يقولوا لرأس الكفر العالمى لامريكا ومن حالفها أنتم على باطل وأنتم على ضلال ، وضحوا بأنفسهم من أجل لا إله إلا الله .

فالحديث يطول معنا عن هذه الأحداث العظام ولكننى أختصر كلامى وأركز على أهمية استمرار العمل الجهادى ضد أمريكا عسكرياً واقتصادياً ، وأن امريكا قد تراجعت بفضل الله سبحانه وتعالى وأن النزيف الاقتصادى مستمر إلى اليوم ولكن يحتاج إلى ضربات أخرى وأن يجتهد الشباب فى البحث عن مفاصل الاقتصاد الأمريكى ويضرب العدو فى مفاصله بإذنه سبحانه وتعالى .

وقبل الختام يطيب لى أن أذكر أولئك الابطال أولئك الرجال أولئك العمالقة العظام الذين رفعوا العار عن جبين أمتنا ، يطيب لى أن أذكرهم ببعض الشعر مادحاً إياهم وكل الذين يسيرون على درب محمد ﷺ .

وقبل ذلك أؤكد على نقطة ، إن هذه المعارك التى تقوم اليوم فى أفغانستان على مدار الساعة على المجاهدين العرب خاصة والطالبان ، اظهرت بوضوح مدى عجز الحكومة الامريكية ومدى الضعف الامريكى ومدى هشاشة الجندى الامريكى .

فرغم التطور الهائل فى التكنولوجيا العسكرية لم يستطيعوا أن يحدثوا شيئاً إلا باعتمادهم على المرتدين وعلى المنافقين فما الفرق اليوم بين بابراك كارمل الذى جاء بالروس لاحتلال بلاده وبين الرئيس المخلوع برهان الدين - والدين منه برئ - أى فرق بين الاثنين ؟ هذا جاء بالروس لاحتلال أرض الإسلام وهذا جاء بالامريكان لاحتلال أرض الإسلام ، فهذا يدل كما ذكرت بوضوح على ضعف الجندى الامريكى بفضل الله سبحانه وتعالى فينبغى أن نغتنم الفرصة ويواصل الشباب الجهاد والعمل ضد الامريكان .

واختم بأبيات بذكر أولئك الابطال الذين خرجوا من أرض الحجاز من أرض الإيمان من غامد وزهران ومن بنى شهر ومن حرب ومن نجد نرجو الله أن يتقبل الجميع ، والذين خرجوا من مكة المكرمة سالم ونواف الحازمى وخالد المحضار أو الذين خرجوا من المدينة المنورة تركوا الدنيا ونعيمها من أجل لا إله إلا الله .

إنـــى لأشهـــد أنهـــم من كل بتـــار أحـــدّ

يا طالما خاضوا الصعاب وطالما صالوا وشـدوا

شتان ، شتان بين الذين لربهم باعوا النفوسـا

الباسمين إلى الردى والسيف يرمقهم عبـوسا

الناصبين صـدورهم من دون دعوتهم تروسـا

إن أطبقت سدف الظلام وعضنا ناب أكـــول

وديارنا طفحت دماً ومضى بها الباغي يصـول

ومن الميـادين اختفت لمـع الأسنـة والخيـــول

وعلت على الأنات أنغام المعـازف والطـــبول

هبـــت عواصـــفهم تدك صروحــه وله تقـول

لن نوقف الغـارات حتى عن مرابعنـا تـزول

والســـلام عليكـــم ورحمة الله وبركـــاته

***

التحالف العنصري بين أمريكا وإسرائيل



يلخص الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه «الفرصة السانحة» - يلخص الموقف الأمريكي تجاه إسرائيل قائلاً : «إنني أتذكر بوضوح اجتماعاً حدث في عام ١٩٧٣ م مع المسئولين بخصوص حرب الشرق الأوسط، وكانت في بدايتها ولم تكن هذه البداية في صالح إسرائيل ، وعندما سأل أحد أعضاء الكونجرس إذا كانت الولايات المتحدة ستتخذ أي إجراء في هذا الشأن ؟ أجبته بلا مواربة «ليس هناك رئيس أمريكي يمكنه أن يسمح بتصفية إسرائيل» . . وأمرت عندئذ بعمل جسر جوى ليدفع عن إسرائيل الهزيمة . . وعلينا الآن أن نسأل أنفسنا سؤالاً عن مدى أهمية إسرائيل بالنسبة لأمريكا لدرجة أنه ليس هناك رئيس أمريكي يمكنه أن يسمح بتصفية إسرائيل ، ولدرجة أن يقوم الرئيس الأمريكي نيكسون في ذلك الوقت عام ١٩٧٣ م بعمل جسر جوى لنقل السلاح من المخازن الاستراتيجية للجيش الأمريكي لحماية إسرائيل .

هل أهمية إسرائيل هنا جيوبوليتيكية مثلاً ، أم أن هناك تحالفاً بين أمريكا وإسرائيل لأسباب أخرى ليست سياسية ولا عسكرية في جوهرها وليست بسبب أهمية أو عدم أهمية إسرائيل بالنسبة لأمريكا ، لنترك أيضاً الرئيس الأمريكي الأسبق يجيب على السؤال ، يقول نيكسون : «إن التزاماتنا تجاه إسرائيل عميقة جداً ، فنحن لسنا مجرد حلفاء ، ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق ، نحن مرتبطون معهم ارتباطاً أخلاقياً ، إن إسرائيل ليست مكسباً إستراتيجياً للولايات المتحدة ، بخلاف الرأى السائد في هذا الشأن ، إن تعاوننا في أجهزة المخابرات والمناورات والمسائل الحربية مهم ، ولكنه ليس حيوياً، لقد أثبتت الجيوش الإسرائيلية حقاً كفاءتها في الحروب إلا أن تأثير إسرائيل محدود في المنطقة ، ولكن التزامنا تجاهها ينبع من ميراث قديم ، فلن يستطيع أي رئيس أمريكي أو كونجرس أن يسمح بتدمير إسرائيل» .

وإسرائيل هذه التى لا تمثل أى مكسب إستراتيجى للولايات المتحدة لا يستطيع لا الرئيس ولا الكونجرس التخلى عنها ، وهى التى اعترفت بها أمريكا بعد دقائق من قيامها ! وهى التى أسهم الغرب عموماً وأمريكا خصوصاً فى قيامها واستمرارها وتوسعها ، وإسرائيل تحصل على ما تريد من السلاح ومن المواقف السياسية والفيتو وغيرها من أمريكا بدون تحفظ ، وقد حصلت إسرائيل من أمريكا منذ ١٩٧٤ م وحتى ١٩٨٩ م على حوالى ٤٩ مليار دولار كمعونة، وحصلت على ١٦,٤ بليون دولار على هيئة قروض من عام ١٩٧٤ م إلى عام ١٩٨٩ م ثم تحولت هذه القروض بعد ذلك إلى منح لا ترد ، ناهيك عن المعونات غير الحكومية ، أو ضمانات القروض الحكومية أو التى تقوم بها البنوك الأمريكية لصالح إسرائيل .

وأمريكا التى لا تطيق أن ترى مصنعاً للكيماويات فى العالم العربى حتى ولو كان ينتج مبيدات للحشرات هى ذاتها التى تشجع وتساعد وتتجاهل قيام إسرائيل بصناعة القنابل النووية وكافة أسلحة الدمار الشامل .

لماذا كل هذا الدعم والحماس لإسرائيل ، مع أنها على حد تعبير نيكسون ليست مكسباً إستراتيجياً لأمريكا ؟!

إن ذلك يرجع لسبب بسيط جداً وهو وجود تحالف عنصرى بين اليهود والأمريكان والغرب موجه ضد المسلمين ، أى تحالف صليبى يهودى ضد الإسلام ، وذلك فى إطار الصراع التاريخى بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية الصليبية ، بل إن هناك تفسيراً صهيونياً للمسيحية ينتشر بصورة متزايدة يوماً بعد يوم وخاصة فى أوساط البروتستانت ، ويقول هذا التفسير إن دعم إقامة إسرائيل وتحقيق إمبراطوريتها من النيل إلى الفرات هو واجب مسيحى لأن هذا الوجود والتوسع الإسرائيلى شرط لظهور المسيح فى فلسطين وقيامه بقيادة الجيوش المسيحية فى معركة ضد الكفار «المسلمين» وهى المعركة المذكورة فى الإنجيل «المحرف طبعاً» تحت اسم معركة «هرمجدون» . .

أما على مستوى المسيحيين الكاثوليك ، فإن الموالاة والتحالف مع اليهود يشق طريقه الآن على قدم وساق ، فبابا الفاتيكان مثلاً – وعلى خلاف كل التراث الكاثوليكى – أعلن تبرئة اليهود من دم المسيح !

وبابا الفاتيكان نفسه يعلن الآن أنه لا يمانع فى الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل بشرط حرية زيارة الأماكن المقدسة ، وحتى أسبانيا التى طردت اليهود مع المسلمين منذ ٥٠٠ عام اعتذرت رسمياً عن ذلك لليهود ، وطبعاً لم تعتذر للمسلمين !!

على أية حال فإن التحالف المسيحى اليهودى أمر جديد ولم يحدث إلا فى القرون الأخيرة ، لأن التاريخ بين اليهود والمسيحيين تاريخ مفعم بالصدام ، ولقد تعرض اليهود للعديد من المذابح والاضطهادات الدينية المسيحية فى كل الدول المسيحية الأوروبية بدون استثناء ، على أن هذا التحالف الجديد كان قد تنبأ به القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام وهذا نوع من الإعجاز القرآنى :–

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [1] . .

ونظراً لأنه كان هناك عداء مستمر واضطهاد من المسيحيين لليهود على طول التاريخ فإن المفسرين القدماء كانوا يفسرون هذه الآية فى إطار أن الكفر ملة واحدة ، أى تفسيراً إجمالياً دون أن يجدوا أو يذكروا تفاصيل محددة لهذه الموالاة ، أما الآن فقد تحققت هذه النبوءة القرآنية وخاصة بعد دعم قيام إسرائيل من الغرب المسيحى واستمرار هذه الموالاة والدعم بين الطرفين فى أكثر من مجال ، وبذلك تحققت النبوءة القرآنية بصورة محددة وتفصيلية ، وهذا من إعجاز القرآن الكريم . .

---

(١) سورة المائدة : الآية (٥١) .

أما موقفنا الآن كمسلمين من هذه الموالاة بين اليهود والنصارى فيحددها الله تعالى لنا من خلال القرآن الكريم ايضاً في هذه الآية وما بعدها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [1].. و﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [2].. و﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[3].

اى هؤلاء الذين يقولون الآن نحن لا نستطيع مواجهة امريكا ولا إسرائيل ونخشى أن يدمروننا بأسلحتهم ! .

***

---

(١) ، (٢) سورة المائدة : الآية (٥١)

(٣) سورة المائدة : الآية (٥٢) .

على وهج النار الذى اندلع فى مدن ومخيمات الضفة الغربية بدءاً من يوم ٢٩ مارس ٢٠٠٢ م الماضى وفوق أكوام الحطام الذى تناثر أو تراكم بسبب قصف الطائرات الاباتشى أو الـ F16 للبيوت الآمنة والمساجد والكنائس أو المتخلفة من قبل الجرافات التى جرفت الكثير من الاكاذيب مع ما جرفته من أبنية على أصوات جنازير الدبابات الميركافا وطلقات المدافع والدبابات والانفجارات وعلى رائحة الجثث التى لم تسمح إسرائيل بدفنها وأنين الجرحى الذين منعت عنهم القوات الإسرائيلية العلاج أو الإسعاف .. على أضواء الشموع التى أنارت الغرف المظلمة بعد أن تم قطع الكهرباء والمياه عن المحاصرين من رجال السلطة أو جنود الامن الوقائى أو الاسر العادية فى رام الله وقلقيلية وجنين ونابلس وطولكرم وبيت لحم .. على الاحلام والامال التى انعقدت على إرادة المجاهدين والصامدين فى المخيمات والذين ضربوا نموذجاً فذا فى جنين ونابلس ..

على وهج النار وفوق تلال الخراب والدمار ورائحة الموت وعلى داء الامل فى الغد احترقت أكاذيب وظهرت حقائق ورغم كل الالم والمعاناة والآثار السلبية المباشرة على الفلسطينيين من هذا الاجتياح المجرم فإن المحصلة الإستراتيجية كانت لصالحنا إن شاء الله وهذا يتوقف بالطبع على التمسك بتفاؤل التاريخ والمستقبل رغم يأس المرحلة ، التمسك بداء الأمل رغم اليأس ، التمسك بخيار المقاومة رغم اغراء المفاوضات !

احتراق الأكاذيب وظهور الحقائق جلية كاشفة مكشوفة واضحة لا لبس فيها كالمحجة البيضاء نهارها كليلها كان أحد المكاسب الإستراتيجية ، ذلك أن احتراق الأكاذيب ومعرفة الحقائق هو أول الطريق إلى النصر فالأمة التى تعرف حقائق ما يدور لها وحولها تعرف الطريق الصحيح لمواجهة التحدى وبدون هذه المعرفة اللازمة بالضرورة لا تستطيع تحديد الأهداف ولا الوسائل .

على وهج النار وعلى أصوات المدافع وأزيز الطائرات والمدافع اكتشفنا إننا نواجه عدواناً أمريكياً يقوم به الجيش الإسرائيلى لحساب الولايات المتحدة الامريكية فالعملية قد تم الاتفاق عليها شكلاً ومضموناً بين الإدارة الامريكية وحكومة السفاح شارون .. إنها المرحلة الثانية فيما تسميه أمريكا الحرب ضد الإرهاب والتى أعلنتها على العالم عموماً والعالم الإسلامى خصوصاً منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م ولم تتوقف ولن تتوقف إلى وقت بعيد وهكذا فإن تصريحات الرئيس الامريكى وكذا كل مسئولى حكومته المتكررة والمتنوعة تدور فى حق إسرائيل فى القضاء على الإرهاب وتحقيق أمنها بذبح كل من يحمل بذرة المقاومة ، وأن على الرئيس عرفات أن يقوم بمزيد من الجهد للقضاء على جماعات الإرهاب وإلا فإنه متهم على حد تعبير الرئيس الامريكى أو داعم للإرهاب وعدو إسرائيل والعالم الحر كله على حد تعبير شارون وبالتالى يستحق الحصار أو الإبعاد أو حتى القتل إذا كانت الظروف مواتية واقتضت الحاجة ذلك .. وفى الحقيقة فإن كل التحركات الامريكية تؤكد هذا المعنى قبل الاجتياح وبعد الاجتياح على حد سواء فتفاهمات تينيت وتقرير ميتشيل وجولات زينى وتشينى ثم كولين باول بل وقرارات مجلس الامن رقم ١٣٩٧ فى ١٢ / ٣ / ٢٠٠٢ م والقرار ١٤٠٢ فى ٣٠ / ٣ / ٢٠٠٢ م والقرار ١٤٠٣ فى ٥ / ٤ / ٢٠٠٢ م وكذا القرارات التى منعتها أمريكا باستخدام الفيتو والطلبات المعلنة من أمريكا للعرب كلها تدور حول انسحاب إسرائيلى غير محدد المعالم .. دولة فلسطينية على مساحة غير محددة حسب المزاج الإسرائيلى – الامريكى طبعاً – ولكن بصورة محددة وقاطعة العمل على تحقيق الامن الإسرائيلى ، القضاء على جماعات المقاومة «الإرهاب» ضرب البنية التحتية التى تسمح بظهور تلك المقاومة – إعلان العرب والفلسطينيين ادانة العمليات الاستشهادية التى هى سلاحنا الرئيسى حتى الآن .. وهكذا فالمسألة أمريكية أصلاً وإسرائيلية فرعاً وهذه الحقيقة أحرقت أكاذيب الاعتماد على

الوساطة الامريكية أو الأوروبية أو مناشدة الضمير الغربى والأمريكى أو سعى الحكومات الصديقة لامريكا لدى بوش ليفعل شيئاً ! أو ممارسة الضغط على الرئيس عرفات من قبل الحكومات العربية للقبول بالمهمة القذرة « أى تصفية رجال المقاومة وبنيتها التحتية » وحتى عندما اضطرت أمريكا لان تطلب من إسرائيل الانسحاب بدون تاخير أو فوراً فإنها كانت تمارس نوعاً من الخداع البسيط المفضوح فإسرائيل تعرف أن الطلب الامريكى غير جاد وانه يمكن الالتفاف عليه أمام العالم بالخروج من بعض المدن التى انتهت مهمة الجيش الإسرائيلى فيها مثل قلقيلية وطولكرم أو بديهى أن القوات الإسرائيلية لن تبقى فى المدن والمخيمات إلى الابد لانها تعرف ان ذلك مستحيل عسكرياً وأمنياً ويكلفها خسائر لا طاقة لها بها .

اكتشفنا على وهج النار أن أمريكا هى العدو والذراع وإسرائيل هى القفاز وهى حقيقة قديمة معروفة ولكن البعض كان لا يزال يجادل فيها ولم يعد الآن قادراً على الجدال إذا امتلك الحد الادنى من المنطق أو العقل . . فإسرائيل مفرزة غربية ثم أمريكية متقدمة أو حاملة طائرات أمريكية ضخمة أو جماعة وظيفية تقوم بمهمتها لصالح الاستعمار الأوروبى ثم الامريكى ! واكتشفنا ان المعركة فى فلسطين هى معركة العالم الحر بالمعنى الصحيح لكلمة الحرية عالم المستضعفين ضد الاستكبار فإذا تم القضاء على المقاومة واستكان الشعب الفلسطينى كان معنى ذلك نجاح المرحلة الثانية من الخطة الأمريكية فى الهيمنة على العالم وعلينا انتظار المرحلة الثالثة فى العراق أو فى إيران أو سوريا أو حتى مصر وإن فشل الجيش الصهيونى فى تحقيق أهدافه فإن ذلك يعنى سقوط جزء من جدار الاستكبار لان استمرار المقاومة والاستشهاد ضد الإسرائيليين يعنى إمكانية تفكيك تلك الغدة السرطانية الاستعمارية المسماة إسرائيل وإثبات عدم جدوى الصهيونية بالنسبة لليهود فيتراجع التأييد لها بينهم ويعطى الشعوب الامل فى إمكانية هزيمة الاستكبار الدولى . . وهكذا فإن الشعب

الفلسطينى يخوض المعركة دفاعاً عن العرب كل العرب والمسلمين كل المسلمين والمستضعفين كل المستضعفين وهذا يفسر فى جانب منه تلك الغضبات الجماهيرية فى العالم العربى والإسلامى بل فى العالم كله ، بل أن القوى المناهضة للعولمة أو أصحاب الضمير فى أوروبا وأمريكا أنفسهم تظاهروا ضد الاجتياح لأنهم فهموا طبيعة المعركة .

ولعل هذا يفتح أمامنا تفسير وفهم حقيقة موضوع التأييد الحكومى الأوروبى أو السكوت أو الموقف الباهت « ماعدا بعض مقاطعات بلجيكا »، كذلك الموقف الحكومى العربى المتردد مع وجود هبات شعبية هنا وهناك .. فالمعركة لها طرفان طرف يمثل الرأسماليين والعسكر وخدمهم من الإعلام والفن والفكر ، وطرف المستضعفين ومن يعبر عنهم فى كل مكان . وإذا كنا نحكم على الظواهر فى مجراها الرئيسى فإن التحالف الرأسمالى العسكرى الأمريكى الأوروبى مع بعض ممثلى ووكلاء هؤلاء فى كل أنحاء العالم هم الذين يسيطرون على القرار السياسى فى بلدان كثيرة من العالم خاصة الدول الكبرى وهكذا نفهم كون مجلس الأمن مجرد مغارة لصوص ليس إلا ونفهم لماذا لا تتخذ الدول الأوروبية موقفاً حازماً ضد إسرائيل وتفهم تردد الحكومات العربية ونفهم لماذا لم يتم استخدام سلاح البترول ولو بشكل رمزى اللهم إلا موقف العراق الذى أوقف النفط لمدة شهر وأيده فى ذلك إيران وليبيا ! والعجيب أن إحدى الدول العربية البترولية الكبرى قالت معتذرة أنها لن تقطع البترول لحاجتها للأموال لكى تساعد الفلسطينيين .

على ضوء سيطرة الرأسمالية والعسكر وحلفائهم من المفكرين والإعلاميين يمكننا أن نفهم لماذا يقف الإعلام الأوروبى والأمريكى « C. N. N – صحيفة نيويورك تايمز نموذجان » هذا الموقف المتجاهل للدم الفلسطينى والمتعاطف مع الدم الصهيونى المراق فى العمليات الاستشهادية ! وأن الذين خرجوا فى

مظاهرات أو احتجوا على الممارسات الصهيونية من الأوروبيين والأمريكان كانوا من حركات مناهضة العولمة أو الخضر أو جماعات السلام الرافضة أصلاً للهيمنة الأمريكية على العالم .

من الحقائق التى ظهرت على وهج النار أيضاً زيف مقولة الديمقراطية الإسرائيلية أو الديمقراطية الغربية عموماً .. وإذا كانت إقامة إسرائيل فى حد ذاتها هى ضد فكرة الديمقراطية وتثبت زيف الديمقراطية الغربية التى دعمت قيام إسرائيل وكذا ممارسات ٥٤ سنة منذ ١٩٤٨ م وقبلها عشرات السنوات فإن ما حدث أمام بصر وسمع العالم وعلى شاشات الفضائيات فى كل أنحاء العالم من قتل ومذابح وتدمير بيوت وحصار وتجويع ورفض دفن الموتى أو إنقاذ الجرحى والاعتداء على الصحفيين والمصورين والاعتداء على حرمة دور العبادة (المساجد والكنائس) وغيرها يثبت زيف مقولة الديمقراطية الإسرائيلية بل وزيف الديمقراطية الغربية والأمريكية المزعومة فهى ديمقراطية عنصرية لا تنسحب على العرب والمسلمين ، وعلى الذين يتحدثون عن القيم الاوروبية أو القيم الامريكية ان يكفوا عن ذلك احتراماً لعقولنا !

ومن الأكاذيب التى احترقت على وهج النار إمكانية قيام سلام مع الكيان الصهيونى فالحكومة التى اتخذت قرار الاجتياح هى حكومة وحدة وطنية إسرائيلية تضم الليكود والعمل وبالتالى فإن بيريز الذى حصل على جائزة نوبل للسلام والتى أعرب ما نحوها عن رغبتهم فى استردادها وندمهم على منحها له وكذا بن اليعازر وموفاز هم أهم أركان تلك الحكومة (الخارجية والدفاع ورئاسة الأركان) وبالتالى فإن حزب العمل شارك فى المذبحة وكل قطاعات المجتمع الصهيونى أيدت العملية واستطلاعات الرأى تؤكد ذلك ومنتقدو شارون ينتقدونه من منظور يمينى وقلت شعبيته فى اتجاه صعود اليمين وليس لانه سفاح مثلاً بل لانه لم ينجح فى ذبح المقاومة بما يكفى ! ودعاة السلام

الإسرائيليون رغم هامشيتهم الشديدة ورغم أنهم مؤمنون بالصهيونية ويرون مصلحتها فى السلام لا يظهرون عادة طالما كان الجيش الإسرائيلى متفوقاً أو يمارس مهامه العدوانية أما إذا ظهر تفوق عربى أو انتصار للمقاومة فإنهم يظهرون فى محاولة لتهدئة الأحوال ! والحديث عن دولة فلسطينية أصبح عديم الجدوى بعد تفكيك البنية التحتية والمرافق على يد الجيش الإسرائيلى والمتاح أمريكياً وإسرائيلياً هو مجرد كانتونات أو معازل بلا قيادة ولا قوات شرطة قوية وطبعاً بلا جيش ولا مؤسسات بل الاجتياح الإسرائيلى الأخير أثبت عبث فكرة الدولة الفلسطينية لأنها دولة ستكون عرضة للاجتياح وقتل الناس وتدمير المرافق والأجهزة كلما أراد حكام إسرائيل ذلك فلا اتفاقات أوسلو منعت اجتياح ٢٩ / ٣ ولا حتى اعتقال مدبرى حادث اغتيال زئيفى شيفى!

ومن الحقائق أن بإمكان قوة صغيرة تلوذ بالإرادة والإيمان وبسلاح بسيط أن تصمد بما يكفى وأن تحدث خسائراً بالعدو وهذه هى تجربة جنين ونابلس وحتى لو انكسرت المقاومة مؤقتاً فإن ذلك لا يعنى انكسارها لأن الجيش الإسرائيلى مثلاً نجح فى اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ م ووصل قلب بيروت وأخرج المقاومة الفلسطينية منها وأقام حكومة يمنية عميلة فى بيروت ودبر مذبحة صابرا وشاتيلا فأحدث خراباً شاملاً ولكن هذا الخراب ومن خلال الأنقاض أبدع اللبنانيون مقاومة ظلت تتصاعد حتى انتصرت فى النهاية ودمرت الجيش الإسرائيلى عام ٢٠٠٠ أى بعد ١٨ سنة من اجتياح لبنان على يد شارون ذاته وهذا الأمر مرشح بالطبع للتكرار .. فمن خلال الخرائب ومن خلال المعاناة وذكريات الحصار والجوع والعطش والموت ستخرج وتتصاعد مقاومة أشد عنفاً وقوة فى نابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية وبيت لحم ورام الله والخليل وغزة وسيكتشف الشعب العربى كيف يلتحم أكثر بالمقاومة ويدعمها الدعم الصحيح والمطلوب .. وسوف يتم دحر العدوان الصهيونى فى النهاية اليوم أو غداً أو بعد غد لأنه شعب رفع شعار المقاومة ويردد مع شعرائه توفيق زياد .

بأسنانى بأسنانى سأحمى كل شبر من ثرى وطنى

ولن أرضى بديلاً عنه لو علقت من شريان شريانى

هنـــا على صـــدوركـــم باقـــون كالجــــدار

وفى حلوقكـــم كقطعـــة الزجـــاج كالصبـــار

وفـــى عيـــونكـــــم زوبعـــة مـــن نــــار

ومع سميح القاسم :

لن أســـاوم إلى آخر نبض فى عروقى ســأقـــاوم

ومع محمود درويش :

سنطـــردهم من إناء الزهـــور وحبـــل الغسيـــل

سنطـــردهم عن حجـــارة هذا الطـــريق الـطويل

سنطـــردهـــم مـــــن هـــــــواء الخليـــــــل

وإذا كان البعض يخشى من الدم المراق بسبب المقاومة فإن الدم الذى يراق بسبب المساومة أو الاتفاق يكون عادة أكثر ولدينا تجربة صابرا وشاتيلا خير نموذج بل كل المذابح جاءت عقب استسلام أو اتفاق ! . . وفى كل الاحوال فإن قدر أمتنا أن تدفع الدم فهى على موعد مع رحلة الدم الذى سيهزم السيف كما يقول الشهيد الفذ فتحى الشقاقى فأمتنا على موعد مع الدم ، دم يلون الارض، دم يلون التاريخ ، دم يلون الافق ، دم يلون الدم .

والحديث عن المقاومة وعن خيار الاستشهاد كخيار إستراتيجى يجب أن ندرك هنا أن حالة العجز العربى الحكومى وعدم قدرة الشعوب حتى الآن على الضغط على الحكومات لفعل شيء جدى لن يكون عائقاً أما مسيرة المقاومة وخيار الاستشهاد لان حزب الله انتصر فى ظروف مشابهة وربما أصعب وآلة الحرب الإسرائيلية لن تقوى على الاستمرار فى المدن والمخيمات ، فهذا على المدى الطويل سيجعلها هدفاً قريباً أما العمليات الاستشهادية وإذا خرجت فإن

المقاومة ستعيد بناء نفسها خاصة فى ظل احتراق الأكاذيب وصعود الحقائق ، وفى ظل غياب لأجهزة السلطة قد يكون ضاراً فى جانب منه ولكنه مفيد فى جانب آخر وفى ظل حالة غضب عارم بسبب ما حدث وثار وطلب انتقام مشروع .. وفى كل الأحوال فإن العجز العربى لن يضر المقاومة كثيرة خاصة إذا لم يمارس دوره فى تطويقها وهو غير قادر على ذلك حالياً لانه لم يقدم ما يسمح بالقيام بهذا الدور ، ووحده الرئيس ياسر عرفات الذى يستطيع ذلك ونرجو ألا يفعل وأن يظل رمزاً لكل الشعب الفلسطينى خاصة أنه مهما فعل فلن تغفر له إسرائيل عمليات الجناح العسكرى لفتح ولن تغفر له أمريكا أيضاً وبالتالى فالخيار أمامه هو الاستمرار فى الخندق خندق الصمود والمواجهة والحقيقة أن المقاومة ستنجح إذا ظلت بمعزل عن الحكومات العربية فهذه الحكومات ولاسباب كثيرة مارست ولا تزال دوراً كبيراً فى تهدئة المقاومة وتطويقها حدث ذلك إبان ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ حيث ناشد الزعماء العرب الأهالى الهدوء وانتظار جهود الصديقة بريطانيا وعندما اجتاحت آلة الحرب العسكرية الإسرائيلية لبنان عام ١٩٨٢ م كانت الجهود الحكومية العربية وراء نجاح مهمة المبعوث الأمريكى فيليب حبيب الذى حقق اتفاقاً يقضى بخروج المقاومة من بيروت إلى تونس وبالتالى انقذ الجيش الإسرائيلى مؤقتاً من الغرق فى المستنقع اللبنانى وكذلك فإن تلك الحكومات حينما تدخلت بسبعة جيوش لسبع دول فى ١٩٤٨ م تسببت فى إقامة إسرائيل وخسران المعركة وبدء النكبة .

وفى عام ١٩٦٧ م تدخلت ثلاث دول فكانت النتيجة ضياع الضفة وغزة وسيناء والجولان ، نحن هنا لا نقول ولا نطالب بعدم تدخل الدول العربية بل أن يكون تدخلها لدعم خيار المقاومة وتأجيجها وليس لاخضاعها للسلام كخيار إستراتيجى مزعوم خاصة أن تلك المقاومة حين تكون قادرة على إنزال الهزائم بالكيان الصهيونى فإنها تذود عن الأمن القومىالعربى خاصة لدول

المواجهة لان فراغ إسرائيل من المقاومة سيطلق يدها للاعتداء على تلك الدول لان لها أهدافاً إقليمية معروفة تشكل خطراً ساحقاً على مصالح وربما وجود تلك الدول ذاتها وعلى كل الدول العربية سواء كانت من دول الطرق أو من غيرها .

فعل المقاومة الجميل والنبيل بركة الجهاد والاستشهاد أحدثت فى الشارع العربى صحوة كان يفتقدها .. وصحيح أن تلك الجماهير التى خرجت بالملايين فى المغرب والسودان واليمن وبمئات الألوف فى مصر وليبيا ولبنان والأردن وسوريا والعراق بل فى البحرين والكويت والسعودية كانت تدافع عن كرامتها ودينها وعروبتها التى مرغت إسرائيل بها الوحل حين ردت على مبادرة السلام العربية أو مبادرة الامير فهد والتى تبنتها قمة بيروت العربية وقبل أن يجف مداد المبادرة وبعد أقل من أربع وعشرين ساعة اجتاحت الدبابات الإسرائيلية مدن الضفة الغربية وحاصرت الرئيس عرفات وصفعت الحكومات العربية صفعاً أليماً ، وصحيح أن تلك الصحوة هى أمر طبيعى لان الموضوع الفلسطينى يمس وتراً حساساً فى الضمير العربى والإسلامى ولكن مجرد خروج المارد الشعبى من القمقم هو أمر عظيم يحسب للمقاومة الفلسطينية لان هذا المارد الذى خرج سيكون لخروجه آثار إيجابية على كل مستوى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وإقليمياً ودولياً وليس على مستوى دعم الانتفاضة والمقاومة أو التضامن مع الشعب الفلسطينى ، وهكذا فإن المقاومة هل التى قدمت الدعم لنا جميعاً على كل مستوى .. حافظت على كرامتنا وردت الإهانة عن الحكام العرب – « وليتهم يعترفون بالجميل » – وعطلت عجلة العدوان الامريكى ، وأيقظت الشعوب من رقاد طويل .

***

عصر المغالطات الأمريكية الكبرى

فى مجلة « النيوزويك » الأمريكية – الطبعة العربية – عدد ٢٥ ديسمبر ٢٠٠١ م ، ثلاث مقالات طويلة تتحدث عن الرؤية الأمريكية للعالم ولمنطقتنا بالتحديد وللنظرة إلى العالم العربى والإسلامى ، والمقالات الثلاث تصلح نموذجاً لما يمكن أن نسميه عصر المغالطات الأمريكية الكبرى ومن المهم بالطبع أن نرصد مثل هذه المقالات التى تكشف طريقة التفكير الأمريكية التى تشتبك وسوف تشتبك معنا بالضرورة ، لأننا أولاً موضوع هذه المقالات ، ولأنها ثانياً بقلم ثلاثة من أهم الكتاب الأمريكيين ، الذين يرسمون أو يكشفون بالأحرى عن المخطط الأمريكى والإستراتيجية الأمريكية للعالم فى عصر العولمة وخاصة بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م .

المقالة الأولى بعنوان « العالم المعاصر هدفهم » بقلم فرانسوا فوكوياما ، والثانية بعنوان « عصر حروب المسلمين » بقلم صمويل هاتنجتون ، والثالثة بعنوان « كيف يمكن إنقاذ الوطن العربى » بقلم فريد زكريا .

لأسماء كتاب المقالات أهميتها ، وكذا عناوين المقالات الثلاث فالاسم الأول « فرانسو فوكوياما » هو المفكر الأمريكى الذى دشن انتصار الرأسمالية على الشيوعية فى جانبه الفكرى ، ونظر لما يسمى بنهاية التاريخ قاصداً أن انهيار الشيوعية وانتصار الرأسمالية يعنى أن الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية هى الحل والطريق الصحيح الوحيد أمام البشرية وعلى كل البشر أن يؤمنوا بهذا الدين – دين حرية التجارة والسوق والخصخصة والعولمة ، وأن يعلنوا اعتناقهم له ، وإلا فإن القطار سوف يفوتهم أو يدهمهم ويخرجون من التاريخ ، فرانسوا فوكوياما بالطبع لم يكن يحلل الظاهرة ، ولم يصل إلى هذه النتيجة من خلال التحليل العلمى الرصين ، ولا النظر فى الصيرورة التاريخية ولا استخدام منهج

علمى جديد أو قديم ليصل إلى هذه النتيجة من مقدمات حقيقية وموضوعية ولكنه كان مجرد بوق لآلة الإعلام الغربية – التابعة للقوى الحاكمة فى أمريكا والغرب «تحالف العسكريين والرأسماليين» الذين خططوا للهيمنة على العالم ، وإعادة صياغته بطريقة تسمح بنهبه وقمعه بطريقة سلسة وسهلة وبدون خسائر أو مجهود كبيرين .

وبديهى أن الرجل استخدم أسلوب القفز على الحقائق الموضوعية ، وصاغ عدداً من المغالطات الكبرى ليصل إلى هذه النتيجة ، فانهيار الشيوعية لا يعنى بالضرورة صلاحية الرأسمالية ، بل قد يعنى فى جانب منه عدم صلاحية الرأسمالية ذاتها لأنها مثل زميلتها خرجت من نفس الأرضية الحضارية الفاسدة– الحضارة الغربية – التى أفرزت أيضاً النازية والفاشية والصهيونية ، وهى حضارة القهر والعنف والنهب والاستعمار والاسترقاق وإبادة الشعوب ، وقد عانى العالم ولا يزال معاناة شديدة منذ صعود تلك الحضارة منذ عدة قرون .

والاسم الثانى هو صمويل هاتنجتون الذى هو بدوره أيضاً أحد أبواق القوى المسيطرة «تحالف الرأسمالية والعسكريين» ولابد أن يكمل الرجل ما بدأه فوكوياما ، فإذا كان فوكوياما يعتبر أن على الناس أن يدخلوا فى دين الرأسمالية طوعاً أو كرهاً ، وأنه ليس أمامهم بديل ، فإن هاتنجتون حدد القوى والأفكار التى يمكنها أن تقف عقبة أمام هذا الزحف العولمى والرأسمالى واعتبر الحضارة الإسلامية أخطر هذه العقبات ، لأنها أولاً حضارة تعبر عن قطاع كبير من البشر ، وتؤثر على قطاع آخر من غير المسلمين ، ويمكن أن تكون بديلاً صالحاً للرأسمالية والشيوعية معاً ، فحلم الإنسان فى العدل لن يموت وسوف يبحث الإنسان عن نظرية تحقق له هذا ، ولابد لهذه النظرية أن تكون ذات خطاب عالمى غير عنصرى وأن تكون فى نصها النظرى والتطبيقى منحازة إلى المستضعفين والفقراء وهكذا فإن الإسلام كدين وكأيديولوجية للفقراء يمكن

أن يكون هو هذا البديل وهكذا فلابد من إعادة بعث فكرة قديمة هى فكرة صدام الحضارات وبديهى أن الحضارات تتصادم وتتحاور حسب الظروف طبعاً ولكن اختيار صدام الحضارات عنواناً لعصر العولمة كان يعنى بالضبط ضرورة القضاء بالقوة على كل المراكز الثقافية والحضارية والبشرية التى يمكن أن تعارض زحف العولمة وتوحش الرأسمالية ، إنها فكرة عسكرة العولمة وبالطبع فإن السيد فوكوياما بعد أن حدد المراكز الحضارية المختلفة فى العالم اختار الحضارة الإسلامية لتكون هى العدو الجديد للغرب الذى ينبغى تحطيمه عسكرياً ومنعها من إقامة تحالف مع الحضارة الكونفوشسية «الصين» لمواجهة عصر العولمة والأمركة والهيمنة وهذا هو ما حدث بالضبط فى آسيا الوسطى والحملة على أفغانستان مثلاً التى استهدفت أساساً منع التحالف الإسلامى الصينى والتواجد فى مركز الثقل السكانى الإسلامى فى العالم بالإضافة إلى التواجد فى الخليج والضرب المستمر للعراق وممارسات إسرائيل ضد الدول العربية وكلها تصب فى خانة واحدة ، خانة محاولة تحطيم القوى الحضارية الإسلامية عسكرياً وبالقوة وبلا هوادة وبديهى أن صمويل هاتنجتون لم يكن يقرأ الغيب ولا يملك أدوات المفكر القادر على استقراء المستقبل بقدر ما كان يروج لمخطط أعد سلفاً فى أروقة الأجهزة الأمريكية الحاكمة ، الاسم الثالث هو فريد زكريا وهو يكمل ما بداه زميلاه ولكنه يختار المنطقة العربية تحديداً ويفكر لنا أو بالأحرى عنا ويحدد ما هو الواجب علينا عمله لكى نصبح أتباعاً مخلصين للدين الجديد فهو يرسم الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى ينبغى أن نتطور إليها وقد يصيب الرجل جزئياً وقد ينصح بأشياء مطلوبة ولكن الإطار المنهجى هو الأخطر ، والمرجعية يجب أن تكون مرجعية الحرية والنزاهة وهى غربية وليست إسلامية أو عربية مثلاً ، أن علينا أن نعتنق القيم الغربية جملة وتفصيلاً وأن نصبح جزءاً من المجهود العالمى برغم إننا أول الضحايا لهذا المجهود المزعوم - إسرائيل مثلاً - والرجل هنا أيضاً مجرد مروج

لمخططات السادة المسيطرين « تحالف الرأسماليين والعسكر » وبصرف النظر عن صحة أو عدم صحة ما قاله الرجل فى حق أنظمة الحكم العربية فإن الهدف ليس انقاذنا بالضرورة بل اخضاعنا بطريقة منهجية وتحقيق الاستقرار لإسرائيل والقضاء على إمكانية المقاومة مستقبلياً .

وإذا حاولنا تأمل المقالات الثلاث بالتفصيل لوجدنا ان هذه المقالات تحمل عدداً هائلاً من المغالطات المنهجية والمعلوماتية والتحليلية كذلك وهى تعبر عن طريقة التفكير الأمريكية وتكشف جانباً هاماً من المخطط الذى بدأ الترويج له بقوة فالمقال الأول « العالم المعاصر هدفهم » لفرانسوا فوكوياما يكشف العنوان مباشرة عما يريده هؤلاء المروجون للسياسة الأمريكية هنا محاولة تبرير العدوان المتوقع هنا وهناك فالإرهاب الإسلامى أو الأصولية الإسلامية هدفها تدمير العالم المعاصر ومنجزات الحضارة والقيم الصحيحة لان هؤلاء مجرد أشرار يحقدون على المتقدمين ولا يحملون اى رؤية أو برنامج وليسوا محتجين على السياسات الامريكية أو الإسرائيلية مثلاً إنهم فقط أشرار حاقدون يجب تدميرهم لإنقاذ أهل الخير منهم وهذا المفهوم طبعاً صار هو الرؤية الرسمية المعتمدة للإدارة الأمريكية وصار جزءاً لا يتجزأ من كلام كتاب وصحفيين وسياسيين بعد ١١ سبتمبر بالتحديد وهذا بالطبع هو العنوان الرئيسى لعصر المغالطات الامريكية الكبرى التى تتميز بالصفاقة وعمى الألوان ، أو حتى العمى الكامل عن الحقائق الموضوعية وهى نوع فريد من تجزئة الحقائق وعدم ربط المقدمات بالنتائج ، وهكذا لابد من القفز على حقيقة وجود ممارسات وأفعال أمريكية وإسرائيلية ربما تكون هى السبب فيما حدث !!

يستمر فوكوياما فى مغالطاته ، فالاشرار الذين يحقدون على أمريكا ، يحقدون أيضاً على العالم ، إنهم لا يريدون أن تستمر مسيرة الديمقراطية التى كانت قد بدأت تنتشر فى كل مكان بالعالم قبل ١١ سبتمبر ، ولا يريدون أن تستمر مسيرة العولمة التى قربت البشر من بعضهم بعضاً ، ورفعت الحواجز

والقيود وحققت النمو .. والمغالطات هنا بالجملة فالديمقراطية المزعومة ليس لها عيون لترى ممارسات إسرائيل وانتهاكها اليومى وعلى مدار الساعة لكل أنواع حقوق الإنسان وكل أنواع الديمقراطية ، بل قل نموذجاً فى العنصرية والقمع لم يحدث من قبل تباركه الدول الديمقراطية الكبرى !! وتدعمه بالمال والسلاح ، والعولمة والرخاء المزعوم قبل وبعد ١١ سبتمبر لم يحدث ، بل الذى حدث أن العولمة أطاحت بالفقراء وحولتهم من فقراء إلى معدمين ، فقد أصبح مئات الملايين لا يعانون فقط من ضعف مستوى الأجور ، بل لضياع فرصة العمل ذاتها ، وتحول التقارب المزعوم بين البشر إلى حلبة مصارعة حرة بين قزم وعملاق !!

الغريب أن السيد فوكوياما يعاقبنا قائلاً : أن ذلك قد انتهى الآن وضاعت الفرصة ، وقد قررت أمريكا أن تطردنا من الجنة ، ولا ينسى فوكوياما أن يؤكد أن ضرب أى أحد وكل أحد ممكن إذا كان إرهابياً ، أو دعم إرهابياً أو مر عليه ذات يوم إرهابى أو حلم فى يوم من الأيام بمقاومة أمريكا وإسرائيل !!

يستمر فوكوياما فى مغالطاته ، فالحرب التى تشنها الولايات المتحدة الأمريكية ليست نوعاً من تطور طبيعى للعولمة باتجاه العسكرة ، حتى تعمل مصانع السلاح التابعة لكبار الرأسماليين ، وهذه العسكرة ليست تطوراً طبيعياً للرأسمالية الباحثة عن تصريف منتجاتها والتى تلتهم المزيد من الضحايا بنشر الأوبئة والفوضى والحروب فى العالم لبيع الأدوية والسلاح والمخدرات ، والتى انفصلت حتى عن أصلها النظرى والفلسفى وصارت آلية خاصة مستقلة لا يمكن حتى للقائمين عليها السيطرة على مسارها «عصر ما بعد الحداثة!!» بل هذه الحروب فى رأى فوكوياما هى دفاع الخير ضد الشر ، هذا الشر الذى يستهدف القيم والنموذج الأمريكى ، وهذه القيم الأمريكية هى فى رأى فوكوياما قيم عالمية تمثل تطلعات عالمية ، وهكذا فإن الذين ضربوا أمريكا ، كانوا يريدون القضاء على رخاء وتقدم العالم .

ويعكس فوكوياما جهلاً مركباً بالإسلام - أو قل يغالط أيضاً رغم معرفته - فالإسلام ، كدين لديه مشاكل فلسفية مع الحداثة !! والصحيح أن الإسلام كدين بالفعل لديه مشاكل مع الظلم والهيمنة والقهر وإذلال الإنسان وإفساد البيئة وهيمنة ٢٠٪ من العالم على ٩٠٪ من خيراته بينما يعيش الباقى على الفتات لديه مشاكل مع ازدواج المعايير وإبادة الشعوب وإنشاء إسرائيل !!

ليست المشكلة مع التطور ، بل هذا التطور تحديداً يحض عليه الإسلام حضاً ويعتبره سنة كونية .

ويتعامل فوكوياما مع الحركات الإسلامية بجهل أيضاً ، فهو يحللها من منظور الأصولية المسيحية ، وهى حركات رجعية تكره أمريكا ، لأنها متقدمة ، وتتمتع بالحرية أو لأنها علمانية أو بها انحلال جنسى أو إنها تكرس التسامح الدينى والتعددية ولا تخدم الحقيقة الدينية ، وهذا كلام قد يصح بالنسبة إلى اليمين الأمريكى مثلاً ولا يصح بالنسبة للحركات الإسلامية وخاصة ما كان منها على غرار حزب الله وحماس والجهاد الفلسطينى ، فهذه حركات مقاومة وهى مع غيرها من الحركات الإسلامية أياً كان الرأى فيها - حركات احتجاج ، احتجاج على الاستبداد وصوت الجنوب ضد الشمال ، ولا يمكن فهمها بمنظور علم الاجتماع الغربى أو الكنسى وهى أيضاً فى قطاع كبير منها تريد التعددية وتعكس التسامح الدينى وليس العكس بل هى غير عنصرية تماماً .

أما موضوع الحقيقة الدينية فهو موضوع يدل على جهل فوكوياما بالإسلام وبالحركات الإسلامية تماماً ، بل هو تعبير كنسى أصلاً ، فالإسلام والإسلاميون والحركات الإسلامية لا علاقة لهم بموضوع الحقيقة الدينية ، بل هم يرفعون شعار « لا إكراه فى الدين » و« لا إكراه فى الكفر » بمعنى أن العالم المعاصر الذى تهيمن عليه أمريكا يدافع بالفعل عن حقيقة دينية هى فرض دين حرية السوق والعولمة على العالم !! وهذا مرفوض بالنسبة للحركات الإسلامية .

المقال الثانى « زمن حروب المسلمين » للكاتب الامريكى صمويل هاتنجتون يحمل بدوره نفس المغالطات – بل يحمل العنوان أيضاً مغالطة ، فالحديث عن زمن حروب المسلمين يوحى بأن هناك علاقة ضرورية بين المسلمين والعنف والحرب ، وكأن العنف اختراع إسلامى مثلاً ، وبديهى أن كل الحضارات والشعوب والجماعات أفرزت عنفاً ، ولكن عنف المسلمين وحروبهم لا تمثل إلا جزءاً يسيراً جداً من حروب وعنف الغرب « إبادة شعوب فى أمريكا وإستراليا – إقامة إسرائيل – الحروب الدينية – حربين عالميتين » بل أن تلك الحروب التى كان المسلمون طرفاً فيها كانت بتشجيع من الغرب أو بمؤامرة منه ، والحروب التى يتحدث أو يستدل بها هاتنجتون على أنها حروب المسلمين ينطبق عليها هذا بالتحديد .

وبداية فإن العنف والقتال والحروب فى حد ذاتها ليس شيئاً مذموماً ، فالكفاح والدفاع والنضال ورد العدوان ومنع الظلم وانتزاع الحقوق المشروعة عمل نبيل محمود .

يستدل هاتنجتون على عنف الإسلام والمسلمين برصد الحروب الأخيرة بينهم وأن خمساً من الدول السبع المدرجة على القائمة الأمريكية للدول التى ترعى الإرهاب من الدول الإسلامية ، وكذلك فإن معظم الجماعات المدرجة على القائمة ذاتها جماعات إسلامية ، وأن ١١ من أصل ١٦ عملاً إرهابياً بين عامى ١٩٨٣ م – ٢٠٠٠ م كان من المسلمين ، وأن القوات الأمريكية خاضت ١٧ عملية عسكرية ضد مسلمين منذ عام ١٩٨٠ م – ١٩٩٥ م وأن ٣٢ نزاعاً مسلحاً كان ٢١ منها بين مسلمين أو كان المسلمون طرفاً فيها ، وهذا يعنى من وجهة نظر صمويل هاتنجتون أن هناك خللاً فى الإسلام أو مفاهيم المسلمين عنه وأنه لابد من تهذيب المفاهيم الإسلامية وإعادة السيطرة على العالم الإسلامى عسكرياً وثقافياً وإلا فإن حرباً عالمية بين المسلمين وأمريكا يمكن أن تقع ، وهكذا فإن الرجل الذى روج لمقولة صدام الحضارات ومهد بالتالى

للحرب الأمريكية ضد الدول الإسلامية - حرب أفغانستان مثلاً - هو نفسه يمهد للحرب الامريكية المتوقعة .. على كل حال فإن حديث هاتنجتون - واستدلالاته الرقمية من عنف المسلمين ربما تكشف فى جانب منها عن حيوية الإسلام باعتباره دين المقاومة والجهاد والقادر على تحريك الجماعات ضد النفوذ الأمريكى والعنف الأمريكى ، وهذه نقطة إيجابية وليست سلبية .

المقال الثالث بعنوان « كيف يتم إنقاذ الوطن العربى » للكاتب الامريكى أيضاً فريد زكريا ، وهو مثل زميليه يمارس المغالطة ، ولكنها هذه المرة فى أسلوب ذكى ، فالعنوان يتحدث عن إنقاذه ويستخدم مصطلح الوطن العربى وهو مصطلح أثير لدينا نحن العرب ، وهكذا فالرجل يبرز نوعاً من التعاطف فى العنوان والاسم قد يبدو من أصل عربى « فريد زكريا » وربما كان يهودياً ، وهو يبدأ المغالطة بالحديث عن الإنقاذ ، والصحيح أن يكون إنقاذ الوطن العربى من ممارسات أمريكا وإسرائيل ، وإنقاذ الوطن العربى من أمريكا وإسرائيل ، أمريكا التى تحتل أجزاء من الوطن العربى بقواتها وتضرب العراق وتحاصره ، وإسرائيل صنيعة أمريكا التى ضربت الدول والشعوب العربية وحالت دون تحقيق وحدة هذا الوطن العربى ، وحالت دون تقدمه وتطوره الاقتصادى والاجتماعى بفرض الحروب وتكاليفها على بلدان هذا الوطن !!

الوصفة الأمريكية هذه المرة على طريقة وصف الذئب العلاج للحملان ، أو ادعاء الثعلب صفة الطبيب المداوى ، والروشتة تحمل قدراً منهجياً عالياً من المغالطة وهى تتحدث عن استبداد وفساد وهذا صحيح ، ولكن من كان وراء هذا أصلاً ؟!

المهم أنه فى إطار دغدغة مشاعر المواطن العربى بالحديث عن الإصلاح السياسى والاقتصادى ، المطلوب هو تحقيق هذا الإصلاح ليس بالوحدة مثلاً ، ولا بدعم المقاومة ضد إسرائيل ، ولكن تبنى القيم الأمريكية والغربية أى مسخ الهوية وتغيير برامج التعليم ، والتخلى عن مشروع المقاومة ضد إسرائيل

والقبول بالوجود الإسرائيلى والأمريكى فى المنطقة بل وطلبه والتعايش معه ، والتغاضى عن ممارسات إسرائيل ، والتركيز على تطوير المجتمعات داخلياً ، وهذا مستحيل مع وجود إسرائيل طبعاً ، وهكذا فالوصفة هى أمركة وأسرلة المنطقة وليس شيئاً آخر وهكذا فنحن أمام مغالطات أمريكية من كل صنف ونوع ، أنه عصر المغالطات الأمريكية الكبرى .

***



الفهرس

تابع الفهرس

***